العناصر الأساسية المكونة لــ" نظرية النص"

(إيزنبرج نموذجاً)

دراسة تحليلية نقدية

د. أشرف عبد البديع عبد الكريم

أستاذ علوم اللغة المساعد

كلية دار العلوم ــ جامعة المنيا

الموضوع

منذ أكثر من ربع قرن تقريباً برز منهج جديد في التحليل اللغوي في الدراسات الغربية[1]، يعد تطويراً للمدارس اللسانية، التي عجزت في كثير من الأحيان عن أن تقدم تفسيراً مقبولاً لعدد من القضايا اللغوية، ومن ثم طورت من أدواتها البحثية وما زالت؛ لاستخلاص الإجراءات المنهجية التي يمكن أن تقدم إسهاماً واعياً لتفسير النصوص (المكتوبة أو المنطوقة) .

ومن ثم ظهرت مناهج التحليل النصي الذي يضمها علم لغة النص أو النصي أو نحو النص، ولسانيات النص علي اختلاف بينها في التعريف [2] في نهاية الستينيات وطيلة السبعينيات والثمانينيات بشكل قوي، حتى أن ما أنجز في تلك الزمنية، يمثل سمة بارزة في الدراسات الألمانية بوجه خاص .

وليس من ظل لريب أن ما قدمه الباحثون العرب علي اختلاف مشاربهم حول التعريف بهذه النظريات على الرغم من كثرتها* عندي محدوداً، ومرد ذلك يعود إلي قلة الأدوات البحثية لدي بعض الباحثين،

---

[1] R . A . de Beaugrande / W . Dressler : Einführung in die Textlinguistik , SS.15 : 31 . Van Dijk T. Aspekte einer Textgrammatik , S . 268 : 272 .
الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم ص ٦٤، ٦٥ لكاتب هذه السطور .

[2] حول الفروق الجوهرية التي أشار إليها فاتر ينظر :
H . Vater : Einführung in die Textlinguistik , SS . 8 : 24 .

* ذكر لي د. سعيد بحيري في لقاء معه أن الدراسات التي تم إنجازها حول علم لغة النص في العربية تجاوزت السبعين دراسة، وهو كم من الدراسات لم تحظ به أي مدرسة من المدارس اللغوية من قبل، مما يدل على قوة التوجه إلى مثل هذه الدراسات، وعلى الرغم من ذلك، فإنني أراها أكثر من ذلك بكثير .

وقــد أدت هــذه الــرؤية إلــي أن البحث في اللسانيات النصية العربية يأتي في إطار نوعين :

الأول : مـا يتسـم بالسـطحية دون العمـق، وذلـك نـتيجة عدم الرجوع إلي الأصـول الـتي كتـبت بهـا هذه الدراسات، ومن ثم فإن معارفهم بما كتبت به الأصـول لا تـزال ناقصـة مـن خـلال اعـتمادهم عـلي ما ترجم فقط، أو بما تكـوّن لديهـم مـن معـارف . الـثاني : البعض الآخر يتسم بالعمق، محاولين الإفـادة مـن التصـورات الغـربية فـي التطبيق علي العربيـة، وأراه أقل من الأول بكثير، علي الرغم من جودته .

وعـلي الـرغم مـن ذلـك، فـإن بعـض الدراسـات العـربية، قدمت تصـورات ورؤى عـلماء الـنص[3]، إلا أن هـذه الدراسـات النقدية والترجمات المقدمـة إلـي العـربية، يمكـن أن تشـكّل تصوراً عاماً للقارئ العربي، وعلى الـرغم مـن ذلـك، فإنهـا ليسـت بكافيـة في إعطاء تفصيلات دقيقة حول ما كـتب عـن عـلم لغـة الـنص، هـذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن هناك

---

[3] ينظر في هذا السياق ما قدمه د. سعيد حسن بحيري : علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، وأحسب أن جُل قضاياه، بل كلها لعرض عدد من التصورات لبعض علماء النص الألمان، وكذلك لــه : اتجاهات لغوية معاصرة في علم النص، وربما يكون عرضاً لما ورد في الكتاب السابق، وإن اشتمل علي توسيع للقضايا التي جاءت موجزة ثمة، كما ترجم كتاب : مدخل إلي علم لغة الــنص، تأليف فولفجانج هانيه مان / ديتر . وترجم كتاب زتسيسلاف واورزنياك : مدخل إلي عـلم لغـة النص مشكلات بناء النصوص، وترجم د. تمام حسّان : النص والخطاب والإجراء لروبــرت دي بوجراند، وما قدمه د. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص . ود. إلهام أبو غـزالة / عــلي خـليل حمد : مدخل إلي علم لغة النص تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وفولفجانج درسلر ... الخ هذه الدراسات .

كـثيراً مـن الباحـثين الغـربيين، وبخاصة علماء النص الألمان الذين لا يقلون أهميـة عمـن قدمـت أعمـالهم إلـي العـربية (إمـا في صورة مترجمات أو دراسـات نقديـة عـن بعـض أعمـالهم) لا يـزالون فـي مـنأى بالتعريف بنظرياتهم وبأفكارهم، علي الرغم من أهميتها .

ويعـد العـالم هورسـت إيزنـبرج (Horst Isenberg) واحـداً مـن عـلماء الـنص الألمـان الذيـن لـم يأخذوا حظهم في أن تقدم نظرياتهم بشكل كـامل لـلدرس النصـي العـربي، وبالـتالي فـإن مـا ورد في ثنايا الدراسات العـربية ـ فيمـا اطـلعت عـليه ـ لـم يـتعد حـدود الاستشهاد للتدليل علي فكـرة، أو أن يـأتي عرضـاً فـي سـياق مناقشة قضية نصية، علي الرغم من أنـه يعـد مـن المؤسسـين الأوائـل لعـلم لغـة الـنص الألماني، حيث كتب دراسـات فـي هـذا المجـال مـنذ وقـت مـبكر (١٩٦٨)، وهي تلك الفترة الزمـنية الـتي رأيـت أنهـا تمـثل الـبداية الفعـلية لهـذا الاتجاه الذي بدأت ملامحه المائزة تتبلور في تلك الفترة [٤] .

وإذا كـان إيزنـبرج قـدّم عـدداً من الدراسات ـ في مواضع منتشرة ـ حـول " نظـرية الـنص " الـتي كـرّس لها جهوداً مضنية؛ لاستخلاص ـ بناء عـلي التـتابعات الجمـلية ـ السـمات الأساسـية لـــ " نحو النص " وقواعد للنصوص .

فإنني لم اعتمد في هذا العرض والتحليل هنا، إلا علي تلك المقالة المهمة له: تصورات حول نظرية النص :

Überlegungen zur Texttheorie .

---

[٤] د. أشرف عبد البديع : الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم ص ٦٤، ٦٥ .

علي الرغم من تقديمه أكثر من ثمانية أبحاث حول الدرس النصي والنظرية النصية [5]، وكلي أمل أن أحصل – في المستقبل – إن شاء الله – علي تلك المقالات وأوسّع من دائرة العرض والتحليل فيها .

ومن ثم فإن بحثي يعتمد علي بحث إيزنبرج المذكور أعلاه، في محاولة لتقديم الملامح الجوهرية التي تشكّل أركان نظريته، مع الاستعانة ببعض الدراسات التي يمكن أن تقدم إضافة لا يشتمل عليها هذا البحث، كلما وجدت إلي ذلك سبيلاً .

كان إيزنبرج يجيد عدداً من اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية والأسبانية والبولندية والبنغالية ولغات أخرى، وقد ساعدته علي المقارنة بينها من خلال الروابط المختلفة[6]، وقد عمل أستاذاً للدراسات اللسانية في جامعة ليبزج العريقة، التي كانت تقع ضمن حدود ألمانيا الشرقية، وتقع الآن ضمن ألمانيا الاتحادية . وعلي الرغم مما كتبه حول " نظرية النص " وأنه من المؤسسين الألمان الأوائل – كما قلت – للسانيات النصية، إلا أنني لم أجد أحداً من الباحثين العرب تعرض له، إما بترجمة بعض مقالاته، كما حدث مع آخرين، وإما بعرض تصوراته وآرائه وأفكاره للقارئ العربي عرضاً مفصَّلاً .

وأزعم – بناء علي التصورات العامة أن هذا البحث – محل النظر – يمكن أن يقدم ملامح جوهرية لنظريته، وسوف أدلل علي صدق

---

[5] ينظر حول بعض مؤلفات إيزنبرج في : مدخل إلي علم لغة النص لفولفجانج هاينه مان / ديتر ص٤١٤، والمداخل الأخرى الخاصة بعلم لغة النص .

[6] Sehe : Überlegungen zur Texttheorie , S . 157 .

هـذه المقولـة فـي ثـنايا العـرض والتحليل، ذلك أنه يشير ـ مثلاً ـ إلي أن " نحـو الجمـلة " ليـس كافيـاً في تقديم تفسيرات كافية للنصوص، وبناء عليه يحـتاج إلـي نظـرية أخـرى (غيـر لغوية)، تسهم في تقديم تفصيل لجوانب دلالية، ومن ثم، فإن هذا البحث يقدم فائدتين :

<u>الأولـي</u> : محاولـة الإفـادة فـي تطبيق هذه التصورات وما يتلائم منها وطبيعة العربية .

<u>الـثانية</u> : تعـريف الباحـثين العـرب بالتصورات العامة نظرية إيزنبرج، وعليه فـإن هـاتين الفـائدتين كافيـتان لـتقديم هذا العرض من ناحية، والتحليل من ناحية أخرى .

" نحو الجملة " ودوره في " نظرية النص"

يــرى د. مــازن الوعــر[٧] أن " نحــو الجمــلة " إنمــا هو مستقل عن " نظــرية تحــليل الخطــاب "، وأن الــدرس النصــي، يُقصــي " نحو الجملة "، وهــي رؤيــة تحــتاج إلــي إعــادة نظر علي ضوء ما قدمه إيزنبرج حول "نظرية النص " .

نجــد إيزنــبرج يــرد هــذه الــرؤية، ويصدر بحثه بقوله : إن العلاقات القائمــة فــي الــنص مــردها فــي الأساس إلي التتابعات* / السلاسل الجملية [٨]. وهــذه الــرؤية تمــثل الأســاس عــنده، وفي محاولته توضيح ذلك، يقارن من خلال المثال التالي :

١ـــ أحرق بيتر الكتاب . هو لم يعجبه .

٢ـــ أحرق بيتر الكتاب . لأنه لم يعجبه [٩].

وبالــتالي فــإن الذي يقع ضمن اختصاص" نحو الجملة" **GrammatikSatz**، إنما هي العلاقات بين الكلمات، ويرى أن بين الجملتين علاقة، بيد أنها في الجملة

---

[7] د. مازن الوعر : نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة ص١ .

* يشير د. صلاح فضل إلي أن مصطلح " المتتاليات "(Sequencc) قد استخدم للإشارة إلي مجموعة من الجمل التي تتميز فيما بينها بتحقيق شروط الترابط (Connection) ، ومن ثم فإن من المعتاد أن تقوم هذه المتتاليات بتكوين نصوص تتسم بالتماسك . بلاغة الخطاب وعلم النص ص ٢٥٥، وهي رؤية تؤكد سلامة تعريف إ يزنبرج، إن لم يكن قد أفاد منه .

[8] مصطلح " التتابعات الجملية " يبدو أن فان دايك قد نقله ممن قبله (إيزنبرج١٩٧١)، بيد أنه حاول أن يجد له مصطلحاً خاصاً به، فقد أطلق علي البنية الكلية للنص (Makrostrukturan) وعلي "التتابعات الجملية" لوحدات النص (Mikrostrukturan)، . Textwessenschaft , SS . 41 : 74

[9] Sehe : H . Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie, S . 159 .

(٢) أكـــثر وضوحاً. ومن ثم فإن رؤيته قائمة علي أن الضمير(هو) يعمل عمل الـــروابط، وكذلـــك إذا كـــانت الجمــــلة الثانية سبباً للأولي، وهي العلاقة السببية، وكلاهما يربطان،إلا أن العلاقة السببية أقوى عنده .

وعـــلي الـــرغم مـــن المفارقـــات التي أشرت إليها ــ في نظر إيزنبرج ــ إلا أنـــه يـــرى أن التـــتابعات الجمـــلية / بنية السطح في الجملة ١، ٢ مترادفتان ومتســـاويتان (تقريـــباً)، ولا يتصـــور أن بـــنية الســـطح وحدهـــا يمكـــن أن تفســـر/ تشـــرح العلاقـــات الدلاليـــة للتـــتابعات الجملية، وتتجاهل أنواعاً أخرى من الوسائل المختلفة [١٠] .

وأود أن ألفـــت الـــنظر إلـــي أن تصـــور إيزنـــبرج حـــول عـــدم كفاية الأنحـــاء التقـــليدية، وعـــدم كفايـــة إجراءات " نحو الجملة " تتفق مع ما عُرف فـــي الـــبلاغة العـــربية بـــــ " نظرية النظم " عند عبد القاهر الجرجاني، وأراها نظرية قريبة الشبه من حيث :

١ــ إن الجمـــلة وحدهـــا ليســـت كافيـــة لأن تقـــدم تفســـيراً فـــي كل الجوانب المختلفة .

٢ــ وجـــوب مـــراعاة الوســـائل غيـــر الـــلغوية الأخرى، ولم يحدد الجرجاني إلا بعضـــاً مـــنها، عـــلي أســـاس أن كـــل نـــص له سياقه /ظرفه الذي يختلف من نـــص إلـــي آخـــر، وهـــذه العناصـــر هي التي أشار إليها إيزنبرج بالوسائل غير الـــلغوية الـــتي يجـــب أن تـــدرج فـــي التحليل مع العناصر اللغوية الأخرى التي ليســـت وحدهـــا كافيـــة، وســـوف نشـــير إلي هذه الوسائل في قابل من البحث .

---

[10] Ebenda, S . 159 .

وبناء علي ذلك يمكن أن نخلص إلى أن نظرية إيزنبرج لا تلفظ تصورات " نحو الجملة "، وإنما هي تتجاوزها إلي أفق أرحب من خلال :

١ـ توسيع البحث في التصورات اللغوية القائمة في الأنحاء التقليدية .

٢ـ إضافة وسائل أخرى غير لغوية، كانت مقصاة في الأنحاء التقليدية . وأبقي عليها لمناقشتها في قابل من البحث .

على أنني أود أن ألفت النظر لما أورده شبلنر وهو ربما يكون له علاقة بتعريف إيزنبرج للنص، فقد عرض لتعريف برنكر (Brinker) بعدما عرض برنكر لتعريف إيزنبرج بأنه : تتابع (سلاسل) مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزءاً صغيراً ترمز إلى النص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام أو علامة تعجب، ثم يمكن بعد ذلك وصفها علي أنها وحدة مستقلة نسبياً "[١١] .

يتضح من خلال هذا التعريف، وما سيأتي لاحقاً، أن تعريف برنكر، إنما هو تعريف إيزنبرج، وأن شبلنر لا يرتضي تعريف برنكر وإيزنبرج في آن واحد، ويوجّه إليه انتقاده بأنه : تعريف دائري بمعني أنه يوضح النص بالجملة، والجملة من خلال النص، كما أنه غير منهجي علمياً، لغموض الرموز والعلاقات التي يتضمنها، واتساع الوصف، ومن ثم لا يمكن تطبيقه[١٢] .

وبالتالي فإن هذا التعريف قائم علي توسيع دائرة " نحو الجملة "، وإذا كانت الجملة أصغر وحدة مستقلة (نسبياً) في الأنحاء التقليدية، فإن

---

[11] برند شبلنر : علم اللغة والدراسات الأدبية ص ١٨٨ .

[12] السابق : الموضع ذاته .

النص يتكون من جملة (أو جملتين)، ويمكن أن يمتد إلي أبعد من ذلك، ومن هنا فإنه يتكون من عدة جمل أو عدة نصوص داخل النص، حسب رؤية شبلنر[13] .

غير أني لا أوافق شبلنر في ذلك النقد الذي وجهه إلي تعريف برنكر السابق للنص، يقول شبلنر : إما أنه دائري أو يستعمل كلمة " النص " بغموض . إنه يوضح مفهوم النص علي أنه يتكون من تعاقب متتابع من جمل بعيدة عن وجود روابط[14] . فتعريف إيزنبرج وبرنكر للنص ليس علي أنه " تعاقب متتابع من جمل بعيدة عن وجود " روابط "، ذلك أن التعريف السابق يرى : أنه متتابع مترابط من الجمل، وفي ذلك إحجاف لذلك التعريف السابق .

قد يبدو هذا التعريف غير كامل / غير جامع؛ أقصد عدم اشتماله علي كل العناصر التي يجب توافرها في النص، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فتعريف إيزنبرج وبرنكر (Brinker) يوحي أن التتابع المترابط من الجمل، أن مصطلح " مترابط " يمكن أن يُقصد به :

١ــ الترابط النحوي (السبك) .

٢ــ الترابط المفهومي (الحبك) .

ومن خلال هذين المعيارين تترابط أجزاء النص، وهما المعياران المختصان بالنص عند إيزنبرج وبوجراند / درسلر ــ كما سيأتي لاحقاً ــ

---

13 السابق ص ١٨٩ .

14 السابق : الموضع ذاته .

وأحسب أن هذا التفسير مقبول والأجدر عندي *، ويبدو أنه يناسب ما كان يقصده إيزنبرج وبرنكر في التعريف السابق، خاصة وأنه يتسق في مجمله مع تلك العناصر التي تتكون منها كليات النص ــ وستأتي الإشارة إلي ذلك في موضع تال من البحث ــ بالإضافة إلي عناصر لغوية وغير لغوية أخرى، وقد أشار إلي التنغيم ونبر الجملة منها....إلخ[١٥] .

وإذا كانت مثل هذه الرؤى حول " نظرية النص "، فإن الأمر قائم علي اكتشاف القواعد وعرضها[١٦]، بناء علي الاستخلاصات الناتجة من النماذج المستشهد بها، ويبدو أن هذه الرؤية لشبلنر قد أفاد منها فولفجانج / ديتر[١٧]. إذ استنتج أن ذلك أبقى " نظرية النص " لدى إيزنبرج في إطار " نحو النص " وهو ما تلقفه فلوفجانج / ديتر من رؤية شبلنر وحاولا أن يبلوراها في إطار رؤية جديدة . يقول شبلنر : ينبغي أن تشتمل هذه القواعد كل أنماط الجملة وتتابعاتها الممكنة وصلاتها وارتباطاتها والصلات غير المشار إليها صراحة : العملية منها

---

* علي الرغم من الفروق الجوهرية بين منطلقات إيزنبرج من جهة، وفان دايك من جهة أخرى، فإن تحليل فان دايك فيما يتعلق بالإحالة له وجوه مماثلة كثيرة مع إيزنبرج ينظر: Textwessenschaft , S . 23 : 39، وفي موضع آخر يحدد الروابط في نوعين : ربط داخلي. علاقات تماسك أخرى (المرجع السابق : ص٤١) وهي رؤية تتفق مع التحليل المذكور في المتن أعلاه .

15 Sehe : H . Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie , S . 156 .

16 برند شبلنر : علم اللغة والدراسات الأدبية ص ١٨٩ .

17 فولفجانج / ديتر : مدخل إلي علم لغة النص ص٥٠ .

والإشـــارية، وإذا لـــم يمكـــن التوصـــل إلى عرض هذا العمل وتمثيله بمنهجيه، فإن النظام يكون معقداً إلي أقصى حد [18] .

وتحـــتاج هذه الرؤية إلي إيضاح في ظل ما أورده إيزنبرج في إطار" نظرية الـــنص "، بـــأن هذه التصورات ليست نهائية / أخيرة؛ أي من الممكن أن يحدث فيهـــا تغييـــر، بـــل هو الواجب، إذ تغيرت بعض جوانب اللغة، باعتبارها ظاهرة اجـــتماعية، وبالتالي يمكن أن تتغير تبعاً لما يناسب اللغات، وهكذا فإن تصورات " نظـــرية الـــنص " ليست أخيرة، بيد أن ما ذكره شبلنر مفاده أن هذه النظريات، يـــنبغي أن تشـــتمل علي كل أنماط الجمل وتتابعاتها الممكنة وصلاتها وارتباطاتها والصلات غير المشار إليها صراحة .

نحـــاول هـــنا أن نختـــبر هـــذه الرؤية علي ضوء ما ورد لدى إيزنبرج، لمـــا يـــنبغي أن تكـــون عـــليه الجمـــل، يمثل تصوراً عاماً، ومن ثم فإن التقسيم المقـــترح عـــنده لتصـــورات عامـــة، يمكـــن أن توسع دائرة البحث فيها، وعليه تضـــاف أنـــواع أخـــرى مـــن الجمـــل الفـــرعية المكملة، التي تكون كثيراً منها عمـــدة، وليســـت فضـــلة فـــي الجمـــلة، وبالتالي في النص، وربما يمثل تصور إيزنـــبرج لمـــا هـــو أوســـع، بـــناء عـــلي الرؤى المقترحة لديه، غير أنها تظل لهـــا قيمـــتها، إذ إن رؤيـــة شـــبلنر قائمـــة علي أساس (ينبغي) وليست علي أســـاس (يجـــب)، وأعـــتقد أن ثمـــة مفارقة واضحة لما ينبغي، ولما يجب أن يكون، لا تخفي علي القارئ اللبيب .

وربمـــا تشـــير رؤيـــة شـــبلنر مـــن ناحيـــة أخرى أن له رأياً آخر، بأن هـــذه الـــنظرية تحـــتاج إلـــي تعديـــل عناصـــرها المقترحة، وهي لا تمثل رؤية

---

[18] برند شبلنر : علم اللغة والدراسات الأدبية ص١٩٠ .

أخيـــرة، وأن مـــا عُـــرض مـــن " نظـــرية الـــنص " : وبهذه الطريقة ما زالت بعيدة عن التطبيق في تحليل النصوص أدبياً وعلمياً [١٩] .

أعـــود لمناقشـــة اهـــتمام إيزنـــبرج وتركيزه علي التتابعات الجملية ودورهـــا فـــي تماســـك بـــنية الـــنص، إذ يذهب إلى أن العلاقة بين الجمل في الـــنص مـــن خـــلال أن الجمـــلة اللاحقة تكون مرتبطة بالأولي (السابقة)، أي الـــروابط الـــلفظية والممثـــلة لبـــنية السطح، التي تعكس الارتباط ببنية العمق. ومـــن ثـــم يمكـــن أن نخـــلص إلـــي إمكانيـــتين فنيتين، يمكن أن تقدما تفسيراً وافياً لهذه العلاقة علي النحو التالي :

١ـــ المطالـــبة بتوضـــيح الســـمات الخاصـــة بـــــ نحو الجملة " ، ونستطيع أن نحدد دائرة اختصاص " النحو " ونبقي عليه .

٢ـــ نلاحـــظ ـــ مـــن خـــلال مـــا يقـــع ضـــمن دائرة النحو، أن النصوص بدون هـــذه الســـمة الجوهـــرية، لا يمكـــن أن تقدم تفسيراً مرضياً للمعطيات المناسبة داخل القواعد النحوية [٢٠] .

ويعـــد الحـــل الأول حـــلاً ظاهـــرياً / شكلياً، وبناء عليه، تعد هذه الميزة غيـــر قائمـــة، إذ لا يمكـــن اســـتنباطها من علم النحو، وبالتالي فنحن في حاجة إلـــي نظـــرية إضـــافية أخـــرى، يمكـــن أن تقـــوم بوضـــع تفسير لذلك، ويمكن التخـــلص مـــن هـــذه المشـــكلة مـــن خـــلال الاعـــتماد عـــلي السمات الخاصة بالنص[٢١] .

---

[19] برند شبلنر : علم اللغة والدراسات الأدبية ص١٩٠ .

[20] H . Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie , S . 158 .

[21] Ebenda,S. 158 .

وتعضد رؤية إيزنبرج هذه الرؤية أن خصائص " نحو الجملة " لا يمكن أن تقدم حلولاً مقبولة (وشافية) للنصوص، ما لم نأخذ في الاعتبار إدخال نظريات أخرى مساعدة .

ويلحظ ڤولڤجانج / ديتر أن ملامح المحاولة الأولي للانتقال من التحليل المقصور علي الجملة إلي تجاوزه من الجمل ... كان إيزنبرج أول من حاول تطوير نحو شامل للنص، وبذلك تشكلت داخل قواعد توليد الجملة المستخدمة في الأنحاء التقليدية لإنتاج الجمل " قاعدة النص " التي يمكن أن توسع بمساعدة الجملة المنفردة في النص[٢٢] .

[22] ڤولڤجانج / ديتر : مدخل إلي علم لغة النص ص ٢٠ .

وسائل بناء النص

إذا كانت الأنحاء التقليدية غير كافية في تقديم تفسيرات مرضية عند إيزنبرج، فإنه يمكن الإشارة إلي بعض الوسائل التي يمكن أن تشير إلي " نظرية النص "، وتنمية لهذه الوسائل، يمكن الإشارة إلي كيفية تحليل التتابع الجملي من خلال الاعتماد علي الأنماط التالية في عملية " إنشاء النص "، وهي كالتالي :

١ - البنية السطحية :

* السيارة في الجراج . دُهنت السيارة حديثاً .

السيارة في الجملة الثانية، تعود علي السيارة في الجملة الأولي، وهي ليست جديدة، إنما هي موضع الجملة الثانية (توكيد) .

٢ -الربط السببي :

* اللمبة لم تحترق . عندما انقطع التيار الكهربائي .

الجملة الثانية تصف محتوى الجملة الأولى؛ لأن الجملة الأولي تقدم تفسيراً لمحتوى الجملة الثانية .

٣ـ الدافع / الحافز :

أ ـ ذهب هانز للبدروم . كان يريد إحضار الكرنب .

ب- تعال هنا . يوجد خطاب لك .

تعتبر الجملة الثانية من (أ) و (ب) تحفيز، كما يمكن أن يقال بالضبط إن الشخص المخاطب يعد مطالباً بفعل شيء ما بالخطاب .

٤ـ التحديد (التفسير) :

* كان هناك صقيع . بسبب تلف في مواسير التدفئة .

الترابط القائم هنا بين الجملتين من الناحية الدلالية فقط .

٥ــ التخصيص :

* بالأمس لم يحالف بيتر الحظ . لأن ذراعه قد انكسر .

وقد خصصت الجملة الثانية بــ " الأمس " و بــ" عدم الحظ "... إلخ .

٦ــ التنظيم / الترتيب :

* لقــد اشــترى أخــي لنفســه بدلــة . هــبط بيــتر ساقطاً على السلم . عمتي تعمل بيدها .

لا يوجــد فــي الــنص اســتبدال لفظــي فــي الجملة الأخيرة، ومن هنا لم تحتو علي البدلة .

٧ــ الربط الزمني .

٨ ــ التعليق الافتراضي

٩ــ التقابل الاستدراكي (الاستدراك بالمقابلة) .

١٠ــ الانسجام (التوافق) بين السؤال والجواب .

١١ــ المقارنة .

١٢ــ تصحيح الأقوال المذكورة سابقاً .

لقد رأي هانز ماريا . لا، بيتر هو الذي رأى ماريا .

فإذا كان المتحدث، يرى أن هانز هو الذي رأى ماريا، فإن المتلقي يعلم أنه ليس هانز، وإنما هو بيتر، فيصحح الكلام (المعلومة) للمنتج، وهذا هو المقصود بتصحيح أقول مذكورة سابقاً [٢٣] .

على أن هذه الوسائل غير اللغوية من قبل إيزنبرج ليست أخيرة، وإنما يمكن أن تطور بإضافة عناصر جديدة، تسهم بفاعلية في عملية التفسير. ولا ريب أن أبحاثه حول " نظرية النص " بوجه خاص تفيد من مدى التقدم الذي أحرز في تطوير هذه الوسائل، علي أنني أؤكد أن هذا التطوير، لم يخل بالعناصر الأساسية لنظريته .

هذه الوسائل التي هي" للتنصيص " اقترحها إيزنبرج؛ ليؤدي النص وظيفة اتصالية، بأنها : مجموع خواص الجملة المهمة لبناء النص، التي لا يمكن اختصارها في البنية الدلالية والمعجمية والنحوية والمورفولوجية"[٢٤]. وبناء علي ذلك أرى أنها حصيلة :

١ــ البنية الصوتية .

٢ــ البنية المورفولوجية .

٣ــ البنية النحوية .

٤ــ السياق الذي يعتبر العنصر الحاسم في تحديد الدلالة المرجوة من هذا النص أو ذاك .

---

[23] H . Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie , S . 160 , 161 .

وينظر ما أضافه إيزنبرج في بحوث أخرى زيادة على ما ورد في المتن لدى ڤولفجانج / ديتر : مدخل إلى علم لغة النص ص٢٢ .

[24] فولفجانج / ديتر : مدخل إلي علم لغة النص ص ٥١ .

٥ــ موضوع النص .

٦ــ نوع النص

إلا أن العناصــر الصــوتية والمورفولوجيــة، عناصــر قــارة، أي لا يحــدث فــي بنيــتها تغييــر، ومــن هنا فإن مجموعها الأخير لا يتغير، إلا أن الــدلالات الــنحوية (المستخلصــة)، ليســت نــتيجة لهذه العناصر القارة، أما القواعــد الــنحوية، فهــي الــتي تتشــكل فــي صور عدة، تنتج جملاً لا نهائية، مختــلفة فــي المعــاني تــبعاً لاخــتلاف الســياقات، على أن التغير في التفسير والمعــاني المختــلفة، لا يــؤدي إلى تغيــر فــي القواعــد الــنحوية، فالقواعد النحوية، كما هي، إلا أن الذي يتغير هو :

١ــ نوعية الموضوع .

٢ــ الســياقات غيــر الــلغوية، كــالأداء (التــنغيم، النــبر) ...الخ . وقد أشار أومن إلى أن هناك عناصر مهمة في " نظرية الــــــــنص " يمكــن أن تقــدم تفســيراً لــلوحدات الــلغوية فــي النصــوص بالاعتماد على العناصر المذكورة أعلاه [٢٥] .

٣ــ التناســق فــي التــتابعات الجــمــلية بيــن عنــاصر النص، هذه العنـــاصـــــــر وغيـــرها تشــكل نصــاً في ظل القواعد النحوية، وهــي ليســت مــتغيرة، والــذي يتغير هي وسائل التنصيص المذكورة عاليــه . عــلي أن هــذه العناصــر تذكــرنا بتــلك الســمات الخاصــة بــنظرية الــنص، كمــا رآهــا شــميت (Schmidt)، ونوجــزها كالتالي :

[25] Oomen U . : Systemtheorie der Texte, S . 66 . 67 .

التناســق، الانســجام النصــي بيــن المــتحدث والمتــلقي . المعلومات اللغوية الموجــودة وقــدرة المحــلل عــلي التحليل . العناصر والسمات الدلالية للتحليل . الســمات الدلاليــة الأساســية لــلفهم : الأصــوات والســياقات والوحــدات المعجميــة . الاعــتماد عــلي معــلومات / أحــداث مســبقة بيــن المــتحدث والمتلقي مما يخلق انسجاماً بين الاثنين "[٢٦] .

ولــم يغفــل إيزنــبرج عنصــراً قويــاً يمكــن أن يقدم دلالات أولية في عمــلية التفســير، وهــو نوعيــة النصــوص، إذ نصــوص الرواية لها سماتها الــتي تفــرقها عــن تــلك الخاصة بالمحادثة مثلاً، ومن هنا فإن استخلاص هذه الســمات الرئيســية لكــل نوعيــة علي حدة، يمكن أن يسهم في عملية التفسير والتواصــل، ويشــير إيزنــبرج إلــي أن : نوعيــة النصــوص، إنما مردها في الأســاس إلــي كــل الجمــل الموجــودة في النص المرتبطة بعضها ببعض، كما أن هذا الارتباط يجب أن يكون بشكل تلقائي (آلي) "[٢٧] .

وإذا كــانت هــذه التصــورات يمكــن أن توسّــع دائرة البحث فيها، إلا أنهــا تــبقي رغــم ذلــك، قائمــة عــلي اســتخلاص مــن النصوص المتباينة، وليســت معــتمدة ــ بالــتأكيد ــ عــلي تصورات مقدمة مما يدخل ضمن دائرة قضــايا " نحــو الجمــلة "، بيــد أنهــا تقدم حلولاً بديلة لكثير من القضايا التي تقع داخل حدود " نحو الجملة " .

وعــلى هــذا الأســاس، فــإن عمــلية البحث في بنية النص المطروحة أمامــنا، ليســت مهمــة خاصــة، يبحث فيها علم النحو، لا يقتصر فقط علي ما

---

[26] S. Schmidt : Texttheorie , S . 66 : 70 .
[27] H . Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie , S . 161 .

يدخل في إطار الجملة ... وفيما يتعلق بالمفاهيم المتعلقة ببنية الجملة الداخلية، لا تؤدي إلى وضع أسس لحل كثير من المشاكل التي لم يتم حسمها بشكل مرض من خلال ما يقع ضمن حدود " نحو الجملة " "[٢٨].

وبناء علي ذلك كله، لا أرى وجهاً لما ذهب إليه د. الوعر من : أن " نحو الجملة " إنما هو مستقل عن " نظرية تحليل الخطاب " ويفهم من كلامه أن علم لغة النص (في بداية بحثه) ينتقص ويحقر من " نحو الجملة "، وأعتقد أن ما ورد تحليل فيما سبق فيه كفاية للرد علي ما ورد عنده . غير أنني أبقي علي عدد من الملاحظات الواردة في ثنايا بحثه، وهي لها علاقة بما نحن بصدده الآن، تحتاج إلي فضل بيان .

يرى د. الوعر : أن " نظرية تحليل الخطاب " تعتمد علي النص، وليست الجملة حجة بعيدة عن الإقناع . ويعتمد في عدم قناعته على أننا يمكننا أن نكتشف استقلالية الجملة ضمن تحليلنا للنص[٢٩] .

هذا أمر مقبول بشكل إجمالي، غير أنه يحتاج إلي نوع من التفصيل، ذلك أن اعتماد " نظرية الخطاب " علي النص لا ينقص من قيمة تصورات " نحو الجملة " ومبادئها الأساسية، وإنما المفارقة الماثلة بين التحليلين يتمثل في أن " نظرية النص" تنطلق من الجملة وتنتهي بالنص، وليس العكس، وبالتالي فإن رؤية " نظرية النص" قائمة علي توسيع تصورات " نحو الجملة " خاصة أنها قائمة علي دعائم لغوية في الأساس، وعلي الرغم من أهميتها، إلا " نظرية النص " ترى أنه ليست كافية لإيجاد

---

[28] Sehe : Ebenda , S . 161 .

[29] د. مازن الوعر : نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة ص ٢ .

الدلالـــة المناســبة،في بعــض الأحــوال، ومـــن هنا يضيف عناصر أخرى غير لغوية .

وفــي رؤيــته حــول اســتقلالية الجمــلة ضــمن التحليل النصي، هذا صــحيح، إلا أن الــذي أفارقــه فيــه أنــه اســتقلال نســبي ومحــدد في حالة وجودهــا داخــل الــنص، حيــث تكتســب دلالــتها مــن الأبنية الكلية، هذا من جهـــة، ومـــن جهـــة أخـــرى تمنح الأبنية الصغرى النص دلالته الكلية، ومن ثم فالعلاقـــة بيـــنهما علاقـــة تماســـك وتـــرابط، وكلما كان النص مسبوكاً محبوكاً مـــن خـــلال هـــذه العلاقـــات، كـــلما كـــان النص جيداً، ويمكن من خلال المفسر الجيد أن يعطي دلالات ثرية للنص .

وإذا كـــانت الأبـــنية الصـــغري (المـــتواليات الجملية)، يمكن أن يكون لكـــل مـــنها فيمـــا بيـــنها اســـتقلال نســـبي، فإن هذا يلغى تماماً في إطار وحدة الـــنص الكـــلية، أو مـــا يمكـــن أن نطـــلق عـــليه بالدلالة العامة للأبنية الكبرى، وفـــي هـــذا الســـياق يـــرى إيزنـــبرج أن الأبـــنية الصغرى يمكن أن تأتي علي أشكال مختلفة في إطار البنية الكبرى علي النحو التالي :

١ــ توجــد جمـــل، يمكـــن اعتـــبارها جمـــلاً مـــنعزلة، ولا يمكـــن تقبـــلها من المســـتمع / المتـــلقي، ولا يمكـــن أن تشـــير إلـــي النص ذاته، وفيها يتم التحول (التغيير) اللفظي من نفس المتحدث أو نفس المتلقي أو من كليهما معاً .

٢ــ وعـــلي العكـــس مـــن ذلـــك، هـــناك جمـــل مـــنعزلة يمكن أن تفهم علي أن فيهـــا تحـــولاً لفظيـــاً، بالـــرغم من أنه توجد لها دلالات في النص(النصوص) ذاتها، والتي لا يمكن استساغتها فيه .

٣ـ وكذلك توجد أحوال (أوضاع) تعد فيها بنية الجملة الداخلية مستقلة عن بنية النص التي تحتوي عليه الجملة [٣٠].

إذا كانت " حروف الجر " يمكن أن تشير إلي سمات دلالية مختلفة، فإن الدلالة الأساسية ينبغي أن تؤخذ من النص أو من الدلالة المتأصلة فيه، وبالتالي تستخلص من النص كله، وليست من الجملة [٣١].

وبالتالي فإن استقلالية الأبنية الصغرى داخل الأبنية الكبرى نسبية؛ لأن استخلاص الدلالة الفعلية لهذه التتابعات، إنما من النص، وهو حسب تعبير شميت : مكون من الرموز اللغوية المعبرة، وأن هذه الرموز وظيفتها الاتصال الاجتماعي[٣٢].

يصدر د. الوعر بحثه بأن بوجراند (١٩٨٠) وجيفون (١٩٨٠) وفان دايك (١٩٧٢)، يرون أن " نحو الجملة " ناقص وضعيف، وبالتالي غير صحيح[٣٣].

غير أن ثمة مفارقة في تفسيره لهذه الرؤية، ذلك أن تعريف بوجراند (١٩٨٠) : النص والخطاب والإجراء، وفان دايك (١٩٧٢) : النص بني ووظائف، جوانب من " نحو النص "، إنما يقران بأن " نحو الجملة " ناقص، ليس لأنه غير صحيح، وإنما لاحتياجه إلي إضافة عناصر جديدة غير لغوية، تلعب دوراً حاسماً في تحديد دلالات الأبنية

---

[30] H . Isenberg Überlegungen zur Texttheorie, S . 158 : 159
[31] Ebenda, S. 159 .
[32] S . Schmidt : Texttheorie, S . 145 .
[33] د. مازن الوعر : نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة ص ١ .

الكلية؛ لأن " نحو الجملة " يعتمد علي عناصر لغوية خالصة، وبالتالي فإن رؤية أصحاب هذه المؤلفات تقوم علي :

١ـ توسيع دائرة التحليل النصي بإضافة عناصر أخرى (لغوية وغير لغوية) .

٢ـ اعتبار النص الوحدة الكلية (البنية الكبرى) وليس الجملة .

٣ـ لا ترفض التحليلات السابقة لعلماء النص منطلقات " نحو الجملة "، وإنما تبدأ منها لتصل إلي تحليل كلي، في حين أن " نحو الجملة " ينتهي إليها وتمثل هذه علامة فارقة بين الاتجاهين .

وعلى هذا الأساس لا أتفق مع رؤية د. الوعر التي ترى أن هذا النقد يتجاهل الموضوع الرئيسي لـ " نحو الجملة " [٣٤]، وفيما ورد من تحليل لرؤية إيزنبرج حول هذا الجانب يعضد ما ذهبت إليه ويقويه، وأزعم أن هذه الرؤية لكل من بوجراند وڤاندايك، إنما استوحاها من تصورات إيزنبرج الأولية .

ومما يعضد ذلك أن ڤاندايك في الفصل الثالث : الترابط والأدوات الرابطة، يصنف الروابط في اللغات الطبيعية، خاصة ما يفيد منها الإشراك في النحو التقليدي متنوعة ومنها [٣٥] .

١ـ الوصل بالتشريك .

---

[34] د. مازن الوعر : نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة ص٣ .

[35] Van Dijk T. : Text and Context , p . 53 .

وينظر المصطلحات النحوية عن ڤان دايك مثل الإضافة والحذف مثلاً في :

Textwessenschaft , S. 115 .

٢ــ الفصل والتخيير .

٣ــ المعارضة .

٤ــ الاستدراك .

٥ــ التشريك .

٦ــ العلة والسبب .

٧ــ الغاية .

٨ــ الظروف .

إلــي جــانب تحــليلات منتــثرة فــي مؤلفات عدة له، علي الرغم من اعتماده عناصــر لغويــة وأخــرى بــرجماتية وفلســفية وعلم المعرفة الإدراكي والذكاء الصــناعي، وفــي هــذا الصــدد يذكــر بوجــراند نصــاً لفــاندايك بعد أن ذكر تعــريفات الجمــلة والفــروق الجوهــرية بيــن الجمــلة والنص، والفروق بين الدراســتين، يقــول : وفــوق كــل ذلــك يجــب لجهودنــا أن تكرّس مبدأ تكافل العــلوم المختصــة؛ لأن اللســانيات وحدهــا لا تســتطيع أن تقــدم الخــبرة المطــلوبة لمعالجـــة الـــنواحي النفســـية والاجـــتماعية والحاســـبية للنصالمســتعمل[٣٦]* ويمكــن أن يضــيف (هــو)فــي المســتقبل عناصــر أخرى

---

[36] بوجراند : النص والخطاب والإجراء ص٩٦ .

* ينظر تفصيلات حول الأبنية الكبرى للنصوص عند ڤاندايك، كما شرحها د. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ص ٢٥٧ وما يليها .

فاعلة . ومن هنا لا أرى وجهاً لما ذهب إليه د. الوعر في رؤيته السابقة[٣٧] .

ومن ثم يعتمد فان ڤاندايك في تحليلاته القيمة علي الإفادة من كل ذلك، وأنها ليست نهائية، وعلي الرغم مما قدمه إيزنبرج وزملاؤه من تصورات أولية حول نظرية النص، إلا أنها في نظر بوجراند / درسلر ليست بكافية، وعلي الرغم من ذلك ــ أيضاً ــ فإنهما لم يشيرا إلي إيزنبرج صراحة، وإن كان بوجراند (١٩٨٠) قد أشار إلي ذلك صراحة، وقد أشرت إلي ذلك من قبل، وهنا أود أن أشير إلي أن طبيعة الدراسات الأولية في أي علم من العلوم، تتصف بالعموم، ومع رسوخها تبدأ تقنن شيئاً فشيئاً. وربما يمثل الإغفال لطرح إيزنبرج تصوراً مقبولاً لديهما . وأرجح هذا الرأي، خاصة وأن د. سعيد بحيري ذكر أن إيزنبرج قد فهم تحت نظرية النص ضمنياً : نظرية لبنية النص (علي أساس قواعد تناص توليدية ومعلومات إحالية) يمكن أن يكون لأجزائها ــ في حقيقة الأمر ــ وظائف اتصالية [٣٨]، وما سيأتي من تحليلات تظهر وجوه المماثلة .

وأحسب أن هذه الرؤية عامة لتصوره حول " نظرية النص " تحتاج إلي فضل بيان، علي ضوء تلك المقترحات الذي ذكرها إيزنبرج في

---

[37] لن أتعقب الباحث في مقالته، فليس المقام مقام نقد، إذ ثمة خلاف بيني وبينه في طرحه العام والخاص، يكاد يصل إلي كل جزئيات مقالته، خاصة أنه عاد وذكر في الجزء الأخير من مقالته عكس ما قاله في بداية بحثه .

[38] د. سعيد بحيري : علم لغة النص ٧٥ .

توضـيحه لهـا، فيمـا بعـد . وهكـذا فـإن تصـورات إيزنبرج حول "نظرية النص" تخلص إلي شيئين :

١ــ مقـترحات جديـدة فـي " نظـرية النص " لم تستطع الأنحاء التقليدية أن تقدم لها حلولاً *.

٢ــ حـاول مـن خـلال هـذه المقترحات أن يقدم تصوراً مبدئياً / أولياً لنظرية النص .

عـلى أنـه يـرى أن اختصـاص " نحـو الجمـلة " إنمـا يقتصر علي العلاقـات الداخـلية؛ أي مـا يقـع داخـل حـدود أسوار الجملة، وما هو أوسع مـن ذلـك[٣٩]. إنمـا يقـع ضمن إطار علم لغة النص، أو التحليل النصي، ويرى ــ بـناء عـلي هـذه الـرؤية ــ بناء علي النماذج التطبيقية التي مثلت ببعض منها، وبالتالي لا يصدق عليه ما يقع داخل حدود الجملة .

إلا أنـني أرى أن تصـور إيزنـبرج للـنص فـي هـذا الإطار الضيق، بـناء عـلي اعتـبار الجملـتين نصـاً، فيمـا يرى ضمناً، حسب تصوره، وكما سـيأتي بيانـه، إنمـا أراهـا (العطف بين الجمل) تمثل الربط بين أقل وحدات

* نلفت النظر إلي أن الذي مهد الطريق في علم اللغة الروسي بشكوفسكي (Peskavski) … وفي الدراسات اللغوية الجرمانية (K . Boost) (١٩٤٩)، ولم يغيِّر المفهوم النظرى الأساسي، وإنما وسّع مجال القواعد، وانطلاقاً من هذا الغرض القائل إن النصوص من حيث المبدأ لها الخواص نفسها، التي هي للجمل . فإن كليات النص تصفها إذن المناهج ذاتها … ومن ثم كان " نحو النص " يفهم علي أنه نوع القواعد لهذه الجمل، ولما كان تجاوز حد الجملة أمراً أساسياً، لإدراك النصية، فقد وُصفت النصوص بأنها كليات متجاوزة للجمل. ڤولفجانج / ديتر : مدخل إلي علم لغة النص ص١٩ .

[39] H . Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie , S . 155 .

التركيب اللغوي (الجملتان)، ومن هنا تجدر الإشارة إلي الربط العطفي إلي ما هو أوسع من ذلك؛ أعني الربط بين المتواليات / السلاسل الجملية (أكثر من جملة) بأدوات عطف مثلاً، علي أية حال فإنه تصور قابل للتطوير في بحوث قادمة، كما سنرى .

كنت قد ذكرت عاليه أن رؤية د. بحيري موجزة في ظل وجود عناصر لغوية ومعلومات إحالية (ليست موجودة في العناصر اللغوية الممثلة لها بنية السطح)، ومن هنا فإن رؤيته تحتاج إلي بيان، يمكن أن نبرز عناصرها فيما يلي :

ليس ثمة خلاف قائم بين الباحثين في النص علي أن " نظرية النص " عند إيزنبرج، تنطلق من تصورات لغوية خالصة، وهو لا ينكر ذلك، إلا أنه يذهب إلى أن العناصر اللغوية وحدها، ليست بكافية، في تقديم تفسيرات مقبولة، وبالتالي يجب أن تضاف عناصر أخرى غير لغوية، تسهم بدور فاعل في كشف مناطق جديدة في النص وتقدم دلالات أخرى يقبلها النص ولا يلفظها، ربما لم تخطر بذهن منتج النص، ومن هنا لا يقل دور المتلقي أهمية في إنتاج دلالات جديدة ليست في ذهن المنتج أثناء إنتاجه، وهو يعتمد في ذلك علي عدد من الإمكانات الخاصة لدي المفسر/المتلقي في صياغة مثل هذه العناصر في إطار تفسير جديد للنص . كما أن هذه المعاني الثواني (أو الإضافية) التي ينتجها المتلقي الجيد، ليست من الضروري أن تتسق (تتفق) مع ما قصده المبدع، ومن هنا لا يقل دوره عن دور المنتج في عملية إبداع آخر وتقديم دلالات جديدة للنص . ونؤكد في تفصيل لرأي د . بحيري بما يلي :

١ــ العناصر اللغوية :

(أ) ــ عناصر لغوية : تقع داخل حدود " نحو الجملة " كالربط بين كلمتين تقعان داخل حدود أسوار الجملة مثلاً .

(ب) ــ عناصر لغوية : تقع خارج نطاق أسوار الجملة، وتمثلها حسب رؤية إيزنبرج الربط بالعطف بين جملتين أو الربط السببي أو بالإحالة، علي أنه لم يتعد أكثر من جملتين؛ أي أنه يقع ضمن حدود جملتين فقط، وتحتاج هذه الرؤية عندي إلي توسيع من خلال تطبيقها علي نص أوسع مجالاً ومساحة، بحيث تتيح فيه الإحالات (سواء الإحالة إلى داخل النص أم إلي خارجه) ربط بين أكثر من جملتين إلي ربط الأبنية الكبرى، محدثة سبكاً وحبكاً جيداً . وربما يمكن أن تشير من جهة أخرى إلى ما يمكن أن يربط بين جملتين أو أكثر، قياساً على ذلك وتوسيعاً لرؤية إيزنبرج السابقة .

٢ــ العناصر غير اللغوية :

وهذه ليست ماثلة في التتابعات / السلاسل الجملية، وإنما مردها في الأساس إلي عدد من العناصر كالأداء والنبر والتنغيم وموضوع النص ونوعه ــ وقد جاءت الإشارة إلي ذلك ــ وقد أجمل إيزنبرج عناصر نظريته في : الدوافع الأساسية، مؤكداً علي أن نظريته، قائمة علي عناصر لغوية وأخرى غير لغوية، وأوجز ذلك علي النحو التالي :

١ــ الإحالة العائدية .

٢ــ اختيار الأداة .

٣ــ تتابعات عناصر الجملة .

٤ــ الإحالة بالضمير والصفة .

٥ــ حالة / وضع نبر الجملة .

٦ــ التنغيم .

٧ــ التوكيد والتناقض .

٨ــ العلاقات السببية القائمة بين الجمل المتتابعة/ المتتالية بلا رابط.

٩ــ تماثل (تشابه) استعمال القواعد بين الجمل في النصوص .

١٠ــ ليس هناك تحديد للقيد السياقي الذي تنحصر فيه الجملة، وهي العناصر الصرفية والوحدات المعجمية .

١١ــ السمات الخاصة بالموضوعات في اللغة الألبانية هي ذاتها في الأسبانية (قارن ذلك بما ورد في الإيرانية الحديثة والبنغالية ولغات أخرى) .

١٢ - التتابع الزمني[٤٠] .

وهكذا تدحض وسائل التنصيص لدي إيزنبرج الرؤية القائلة بأن نظريته قائمة علي أساس لغوي، وهي رؤية عامة، لا تنفي وجود عناصر أخرى (غير لغوية)، وبالتالي فإن رؤية د. بحيرى هي عندي الأكثر إحاطة وإصابة للمعني . وإذا كان إيزنبرج قد قسم تصوراته ــ في مقالته قيد البحث ــ إلي أربعة عناصر على النحو التالي :

[40] H . Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie , S . 156 .

١ــ مدخل .

٢ــ الدوافع الأساسية .

٣ــ أنماط النص .

٤ــ رسم تخطيطي لنموذج الإحالة .

وبناء علي تقسيمه للعنصر(٤)، يمكن اعتباره المرتكز الأساسي الذي يقيم عليه نظريته، إذ قسمه إلي أربعة عناصر أخرى كما يلي :

١ــ السمات المميزة للإحالة [41] .

٢ــ محدد النص .

٣ــ مدخل إلى أعداد الإحالة .

٤ــ قواعد النص .

وتكوّن هذه العناصر في مجملها موجز نظرية النص عنده، وأبقي علي هذه الملاحظة العامة للإفادة منها في ثنايا التحليل، وبالتالي فإنها تقوم علي :

١ــ إما أن تربط بين عناصر الجملة الواحدة .

---

[41] تجدر الإشارة هنا إلي ما كتبه د. سعيد بحيري : من أشكال الربط في القرآن الكريم، وهو بحث في العناصر الإحالية والإشارية ودورها في تماسك بنية النص القرآني. كما أشير إلي بحث الأزهر الزناد : نسيج النص بحث ما يكون فيه النص ملفوظاً، وقد خصص الجزء الأكبر فيه لدراسة عناصر الإحالة (نظرية وتطبيقاً)، كما ألفت النظر إلي أن لكاتب هذا البحث فصلاً في رسالته للدكتوراه ص ١٥٧ : ٢٤١، عن البنية الدلالية والإحالية للضمائر، وهي بعنوان : دلالة التراكيب عند الزمخشري، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، غير منشورة، ١٩٩٩ .

٢ــ وإما أن تربط بين عناصر جملتين .

ــ وقد تكون هاتان الجملتان متتاليتين .

ــ وقد تكونان متباعدتين، كأن يفصل بينهما بجملة أو أكثر (لاحقة أو متقدمة) .

٣ــ وإما أن تربط بين الفقرات (أو ما في حكمها : المقاطع)

٤ــ وإما أن ترتبط بين بداية النص وآخره أو العكس .

ويعكس تركيزه علي الإحالة اعتماده علي العناصر اللغوية (الإحالة)، خاصة أنها شغلت حيزاً مرموقاً من مقالته [42]، وعالج ــ فيما أري ــ العناصر الأساسية للإحالة. وربما تكون هذه المعالجة هي التي لفتت نظر زتسيسلاف أن إيزنبرج (١٩٦٨) وهارڤج Harwig (١٩٦٨) يعدان سمات مميزة لما يسمي بعلم لغة النص القائم علي نظام اللغة الذي يحاول بحث الأشكال اللغوية المحضة للنصية .

علي أن هذه الرؤية يمكن مناقشتها من جانبين، الأول : أن تصورات إيزنبرج تركز بالفعل علي منطلقات لغوية، وأرى خلافاً لزتسيسلاف، بناء علي نماذجه التحليلية، وما أوردته من عناصر أعلاه، وأقصد اهتمامه

---

42 شغلت مناقشة قضايا الإحالة في مقالة إيزنبرج من ص١٦١ : ١٧٢، مما يؤكد على أهميتها في نظرية النص .

الواضـــح بقضـــية الـــربط بالإحالـــة . يبدو أن اهتمامه بالربط الإحالي أكثر من الربط بالأدوات بناء علي ما ورد أعلاه من قضايا إحالية.

الـثاني : أن رؤيـــة زتسيســـلاف قائمـــة علي بحث إيزنبرج (١٩٦٨)، علي أنـــني لـــم اطـــلع عـــلي هذا البحث لمناقشته، غير أن فحوى رؤية زتسيسلاف مفادهـــا أن العناصـــر الأساســـية فيـــه لغويـــة، إلا أن بحث (١٩٧١) ـ محل الـــنظر ـ ، يضـــيف عناصـــر غيـــر لغوية، وبالتالي يكون لزتسيسلاف مبرره. وهـــي مـــنهجية تقـــربه مـــن مـــنهج هارفج هنا، إذ تمثل معالجة الإحالة قاسماً مشـــتركاً بيـــنهما فـــي التحـــليل، بيـــد أن إيزنبرج لم يقتصر في أبحاثه الأخرى عـــلي هـــذه المـــنهجية، بيـــنما يعتـــبر هارفج العناصر اللغوية (الإحالية) هي الحاســـمة فـــي تكويـــن بـــنية الـــنص . وتمثل هذه مفارقة بينهما علي ما يبدو بينهما من مقاربة .

المعايير الكلية لبناء النص

أري ــ بناء علي ما جاء في بحوث عرضت لها بعض الدراسات ــ أن وسائل التنصيص هي التي تشكّل عناصر مهمة في تقديم تفسير مقبول، وبناء عليه، فإن ثمة عدداً من الخواص الجوهرية الخاصة بكليات النص لدى إيزنبرج نعرض لها، وقبل ذلك لابد من عرض الخواص الكلية التي يتفقون حولها، وهي خواص كلية للجمل والنصوص وهي :

١ــ لا يمكن تحديد نهائي من جهة الكم للجمل أو النصوص في كل لغة علي حدة .

٢ــ تعد كل من الجمل والنصوص ناقلات للموضوعات ومصوغة صياغة زمنية .

٣ــ كلتا الوحدتين لهما في حد ذاتهما طابع بنيوي، ويتكونان من عناصر لكل منهما علاقة بالآخر .

٤ــ يمكن أن تأتلف الجمل والنصوص علي أساس نماذج معينة في أقسام، وتقدم هذه الأقسام بوظيفة نماذج لإنتاج الوحدات المذكورة وتلقيها[٤٣] .

وتمثل هذه العناصر جوهر " نظرية النص " لدي إيزنبرج، بناء على رؤية جان ماري ستشايفر التي ترى أن كل " نظرية للنص "، يجب أن تتوافر فيها العناصر التالية لكي تستحق اسم نظرية : التماسك، الانسجام، القصدية والقبول والاختلاف الجنسي، نظرية النص[٤٤] .

---

[43] فولفجانج / ديتر : مدخل إلي علم لغة النص ص٢٠ .

[44] جان ماري سشايفر : النص ص١٣٢ : ١٣٥ .

وبمقارنة ما ذكره ڤولفجانج / ديتر حول الخواص الجوهرية الخاصة بكليات النص لدي إيزنبرج مع ما ذكرته ستشايفر، أرى أنها تمثل عناصر كلية، وموجزها لدى إيزنبرج كالتالي :

١ـ الشرعية الاجتماعية (النصوص بوصفها تجليات لفعل اجتماعي) .

٢ـ الوظيفة الاجتماعية (النصوص بوصفها وحدات ينقسم فيها الاتصال اللغوي) .

١ـ الوظيفة الدلالية .

٢ـ الارتباط بموقف .

٣ـ المقصدية .

٤ـ جودة السبك .

٥ـ كمال التأليف[٤٥] .

وتذكرنا كليات النص لديه بتلك المعايير التي اقترحها بوجراند / درسلر، وهي المعايير التي إذا توافرت في أحد النصوص صار نصاً كاملاً، وهي ليست واجبة التحقق كلية، إذ يمكن ألا تتوافر كلها، ويكون النص نصاً، غير أنه ليس كاملاً، وإنما يكتفي أن يتحقق المعياران المرتبطان بالنص (بنية السطح وبنية العمق)، وهما معيارا

---

[45] ڤولفجانج / ديتر : مدخل إلي علم لغة النص ص٥٢، ينظر خواص كليات النص ذاتها لدي زتسيسلاف : مدخل إلي علم النص ص٣٠، ٣١ مع فارق ضئيل في العناصر، حيث عنصر" النحوية " لم يرد عند ڤولفجانج / ديتر .

(Kohäsion) و(Kohärenz) بالألمانيـــة، ونذكـــر هــــذه العناصــــر كمــــا أوردها بوجراند / درسلر[٤٦] :

١ – السبك (Kohäsion)
٢ – الحبك (Kohärenz)
٣ – القصدية (Intentionalität)
٤ – المقبولية (Akzeptablität)
٥ – الإخبارية (Informotivität)
٦ – الموقفية (Situationolität)
٧ – التناصية (Interxtualität)

وعـــلي ضـــوء ذلـــك، فـــإن العناصـــر المكونـــة لكـــليات الـــنص لدي إيزنـــبرج، ومعاييـــره لـــدي بوجـــراند / درســـلر واحـــدة، ويمكن أن تقسم هذه المعايير علي النحو التالي؛ لتتضح المقاربة مع ما أورده إيزنبرج :

١ــ ما يتصل بالنص مباشرة : (وهما معيارا السبك والحبك) .

٢ــ مـــا يتصـــل بمســـتعمل الـــنص، ســـواء كـــان منـــتجاً أو متلقياً : (وهما معيارا القصدية والمقبولية) .

٣ــ مـــا يتصـــل بالســـياق المـــادي والـــثقافي المحيط بالنص : (وهما معايير الإخبارية والموقفية والتناص) [٤٧] .

---

46 R. A .de Beaugrande /W. Dressler : Einführung in die Textlinguistik,S. 3,4

وينظر بوجراند : النص والخطاب والإجراء ص ١٠٣ : ١٠٥، وينظر هذه المعايير ذاتها عند فاتر H . Vater : Einführung in die Textlinguistik , SS . 31 : 63 .

حـــاولت هـــنا أن أشـــير إلـــي هـــذا التقسيم؛ لأنه يعكس تقارباً في الإطار العام، عـــلي الـــرغم مـــن الفـــروق الماثـــلة بين التصورين، خاصة أن خواص كليات النص لدى إيزنبرج، يمكن تقسيمها حسب التقسيم السابق هكذا :

١ـــ مـــا يتصـــل بالـــنص ذاتـــه (وهمـــا خاصـــيتا : جـــودة الســـبك، وكمال التأليف) .

٢ـــ مـــا يتصـــل بمســـتعمل الـــنص، سواء كان منتجاً أم متلقياً (وهما خاصيتا : الارتباط بموقف والقصدية) .

٣ـــ مـــا يتصـــل بالســـياق المـــادي والـــثقافي المحيط بالنص (وهي خواص : الشرعية الاجتماعية، والوظيفة الاتصالية، والوظيفة الدلالية) .

وبالـــتالي فإنـــني أرى أن تصـــور إيزنـــبرج حـــول " نظرية النص " يقع الموقعيـــن معـــاً، موقـــع يقـــرِّبها مـــن تصـــور هـــارفج القائم علي الصياغات الـــلغوية، وبخاصـــة الإحالـــة لـــدي كـــل مـــنهما، الـــثاني : يقربها من نظرية بوجـــراند / درســـلر، بشـــكل لافـــت للـــنظر، وعـــلي الرغم من المقاربة، فإنني أرى أن نظـــرية إيزنـــبرج أكـــثر تفصـــيلاً لجوانب الإحالة من نظرية بوجراند / درســـلر، وتعـــتمد نظـــرية إيزنـــبرج عـــلي اســـتخلاص هـــذه الخواص الكلية للـــنص، بـــناء عـــلي واقـــع تطـــبيقي، وهـــذا مـــا دعا ڤولفجانج / ديتر إلى أن يـــريا أن نظـــرية إيزنـــبرج تقـــع فـــي إطـــار " نحو النص" [٤٨]، كما ذكرت قبلاً، وهـــي لا ريـــب كذلـــك، وهـــذا لا يقـــلل مـــن أهميتها بحال من الأحوال، إذ كان

---

[47] R .A .de Beaugrande /W. Dressler : Einführung in die Textlinguistik, S. 8 .

[48] ڤولفجانج / ديتر : مدخل على علم لغة النص ص٥٠ .

معنياً في الأساس بإقامة نحو للنصوص، وأن بوجراند / درسلر قد أفادا من نظريته وإن طوراها وصاغاها صياغة جديدة في إطار نسقي (معرفي)، بحيث تكون علامة فارقة لنظرتيهما في النص، وبالتالي لم يشيرا في نقدهما للدراسات السابقة التي لم تعن بوضع معايير للنص .

وتعكس هذه الرؤية من جهة أخرى ــ وفي ذلك توكيد لما جاء سابقاً ــ أن " نظرية النص " لدي إيزنبرج لا تعتمد علي عناصر لغوية فقط، وإنما تضيف وسائل أخرى، جاءت الإشارة إليها سابقاً .

ويدفعني هذا التصور لدي كل من إيزنبرج وبوجراند / درسلر حول كليات النص / معاييره أن أراه قريباً من تصور البلاغيين العرب، ولكي تتضح المقاربة المنهجية، إن صحت، أعرض لمثل هذه العناصر في التراث البلاغي* علي النحو التالي :

(<u>الشرط الأول</u>) : شرط الصياغة، ويقصد به حسن اختيار اللفظ وصحة السبك جميعاً، وينبغي أن يُضاف شرط الصياغة اعتبارات أسلوبية أخرى، مثل: تجنب الحشو، وتجنب المعاظلة ونحوهما،وهذا يمثله مصطلح Kohäsion : السبك، في رأيي .

(<u>الشرط الثاني</u>) : الشرط المعنوي، ويقصد به وضوح المعني، وارتباط المبدأ بما بعده ودلالته عليه في الوقت نفسه ويمثله مصطلح Kohärenz : الحبك .

---

* يحتاج هذا العرض الموجز لاستخلاص هذه المعايير من البلاغة العربية إلي دراسة مفصّلة، صحيح هي موجودة، بيد أنها منتثرة في مواضع عدة من كتب البلاغة، وبالتالي فإن الجديد هو صياغتها وتقديمها في إطار نظرية عربية خالصة .

(الشرط الثالث) : الشـرط المقـامي : ويُقصـد ـ مـن خـلال ملاحظـاتهم المتفرقة ـ أمورعدة نوجزها فيمايلي:

أولاً : رعاية حال المخاطب . ثانيـاً : رعايـة الـدور الاجـتماعي للمخاطب	الشرعية الاجتماعية الإخبارية المقاماتية الاتصالية

ثالثاً : رعاية الموقف الخارجي[49] .

ولا شـك أن هـذا التحـليل لتصـورات الـبلاغيين العـرب من ناحية، ورؤيـة كـل مـن إيزنـبرج وبوجراند / درسلر من ناحية أخرى، تعكس وجوه المقاربـة، ومـن ثـم فـإن رؤيـة التراث البلاغي العربي لا ينبغي هنا في هذا الاقـتراح ـ كمـا يحـاول الـبعض[50] ـ أن تـأتي عناصـر الـبلاغة في إطار قضـايا منتـثرة، وإنمـا مقصـدي أن تصـاغ عناصـرها ـ مـا يمس جوانب الـنص مـنها ـ فـي إطـار نظرية عربية لـ " نحو النص " العربي، حيث يتم اسـتخلاص المعاييـر الأساسـية فيهـا، وأن تقـدم تفسـيراً معقولاً، ويستفاد مـن وسـائلها المختـلفة والمـتاحة في إطار نظرية كهذه، وأري أن تقديم هذا التصـور، إنمـا يقـدم خطـوة مهمـة نحو نظرية عربية في " نحو النص " من خـلال اسـتقراء النصـوص الـبلاغية، ومـا الجـرجاني والرازي والقرطاجني والسـكاكي، إلا نمـاذج تحـتاج إلـي صياغة تصوراتهم النهائية، والإفادة في

---

49 د. محمد العبد : حبك النص منظورات من التراث العربي، ص ١٥٧ : ١٥٩ (بتصرف) .

50 قدّم د. جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ود. محمد العبد : حبك النص .... منظورات من التراث العربي . ولكاتب هذه السطور: الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم .

تقديـم تفسـيرات مضـيئة للـنص، علـي اختلاف فيما بينهم، وبالتالي تكون لديـنا نظـرية نصـية مصـاغة، أمـا لـو أبقينا علي الطرح الآخر؛ لأخذ وقتاً طويـلاً، حـتى يمكـن أن تصـاغ نظـرية نصـية عـربية، تضارع اللسانيات النصية الغربية .

والآن أعـود لمناقشـة عناصـر الإحالـة عـند إيزنبرج، وأفصل القول فـي هـذه العناصـر فيمـا يـلي مـن البحث؛ ليكتمل عرض نظريته علي نحو أرجـو أن يكـون كذلـك، أو موضـحاً صـورة مجملة لتصوراته حول " نظرية النص" حسب تعبيره .

وأعـرض لجوانـب العنصـر (٤) عـند إيزنـبرج ـ وهو حسب ترتيب عناصـر الـبحث هـنا يكـون (٥) ـ : رسـم تخطيطي لنموذج الإحالة[51]، كما ذكرها مرة أخري ـ للتفصيل ـ علي النحو التالي :

---

[51] بلغ هذا النموذج مبلغاً من الأهمية لدي علماء النص الألمان، مما حدا ببعض الباحثين أن يفرد له مساحة لعرضه ومناقشه ما فيه، غير أنّي وجدت أن عرضه لم يقدّم إضافة جديدة زيادة علي ما ورد عند إيزنبرج، ويكاد يكون عرضاً لمقترحاته (تصوراته) في بحثه، ينظر :

Sehe : W . kallmeyer (und Ander) : Lektürekolleg zur Textlinguistik . Band 1 : Einführung , Isenberg : skizze eines Modells zur Textreferenz, S . 201 : 205 .

رسم تخطيطي لنموذج الإحالة

٥ /: رسم تخطيطي لنموذج الإحالة :

٥ /١ : السمات المميزة للإحالة .

٥/٢ : محدد النص .

٥/٣ : مدخل الإحالة .

٥/٤ : قواعد النص .

وبناء علي ما ورد سابقاً من تلك المساحة المكانية التي شغلتها الإحالة لدى إيزنبرج، أرى أنه يعّول عليها كثيراً، وقبل أن يناقشها يصدرها بإمكانيتين مهمتين، تقدمان تفسيراً مهماً ــ فيما يرى ــ في بناء النص :

أ ــ تقديم تفسير للدلالة العامة (للتركيب) : من خلال الاستبدال اللفظي، وتمثلها التتابعات الجملية الماثلة علي السطح .

ب ــ تقديم الدلالة العامة (للتركيب) : من خلال توليد أشكال لغوية جديدة، وتقديم تفسير يصحح إمكانية فهم الجمل اعتماداً علي الحذف ــ مثلاً ــ الذي يراعى فيه التفسير الصحيح للبنية العميقة، من خلال العلاقة القائمة بين السلاسل الجملية والتماسك الدلالي (العنصر المفهومي) القائم في النص[٥٢] .

وطرْح إيزنبرج (هنا) يتسق مع تصوره العام في أنه لا يلغي تصورات " نحو الجملة "، وإنما ينطلق منها، إن الدلالات الأولية (المباشرة)، إنما تتأتى من المتواليات الجملية، وتمثل هذه الخيط الأول،

---

[52] H . Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie , S . 161 .

الـذي ينطـلق مـنه عـلم لغة النص، الذي لا ينفي " نحو الجملة " وإنما يوسّع مـن دائـرة الـبحث فيـه، بإضـافة عناصـر جديدة، تسهم في تقديم تفسيرات نيـرة، باعـتماد عناصـر أخـرى، هـذا فيما يتعلق بالإمكانية (أ) التي تمثل " نحو الجملة " فيما أظن .

فـي حيـن تمـثل الإمكانيـة (ب) تصوراً للعناصر اللغوية المقترحة، الـتي يعـتمدها التحـليل النصـي، مع عدم إغفال العناصر اللغوية التي يتيحها الـنظام الـلغوي، كـالحذف والـتوليد والاسـتبدال مـثلاً، ومن ثم تساعد هذه الأدوات عـلي فهـم التـتابعات الجمـلية، الـتي تمـثل المنطلق الأساسي الذي يـبدأ مـنه التحـليل النصـي، وتمـثيل إيزنـبرج هنا، ليس أخيراً، وإنما يمثل مقـترحات، يمكـن أن يُضـاف إليهـا عناصر جديدة، يستدعيها التحليل ويقبلها السياق (اللغوي وغير اللغوي) * .

١/٥ : السمات المميزة للإحالة (Spezielle Referenzmerkmale)

قـبل أن يـناقش إيزنـبرج قضـية الإحالـة، يعـرض لقضية علي قدر مـن الأهميـة، وأرى أنهـا تمـثل قضـية جوهرية، وأقصد ما ذكره أن الإحالة نوعان :

---

* يشير شميث إلي الأهمية البالغة التي تؤديها الإحالة في " نظرية النص "، وهي عنده لها سمات عامة وسمات خاصة، وتعكس ترابطاً بين بني النص، ويؤدي السياق دوراً كبيراً في تحديد عناصرها، ينظر Schmidt :Texttheorie , S . 78 , 79 ، لعل تأثير إيزنبرج حول اعتبار الإحالة العنصر الأساسي في " نظرية النص " ضمنياً، هو الذي أثر علي قاتر في تحليله، وشغلت الإحالة مساحة كبيرة عنده، وليس من تأثير بوجراند / درسلر، كما يمكن أن يتصوره البعض .

Sehe : H . Vater : Einführung in die Textlinguistik , SS .109 : 155 .

١ ـ إحالة صريحة (مباشرة) .

٢ـ إحالة غير صريحة (ضمنية) [٥٣] .

وتمثل الإحالة الإضافة إضافة لإيزنبرج، لم يعرض لها هارفج، وفي هذا السياق يرى زتسيسلاف : أن التفريق بين الإحالة المباشرة والإحالة الضمنية ـ حسب تعبير إيزنبرج ـ ليس واضحاً .... ويخلص إلي أن عدم الوضوح في الإحالة لا يضر بها [٥٤] .

وأرى أن عدم وضوح الإحالة، تمثل سمة جوهرية فيها في كثير من الأحيان، خاصة إذا كانت بعض خواص كليات النص ناقصة، فإذا تم الاعتماد علي إحداها فيما يتعلق بذلك الجانب، فإنني أرى أن وضوحها يكون السمة الأساسية . وتعكس الملاحظة الأولية، إن كلاً من إيزنبرج وهارفج يمثلان الرؤى الأولى لبحث عناصر " نظرية النص "، وربما يعكس عدم ذكر هارفج " الإحالة الضمنية "؛ لأن اهتمامه يقع علي العناصر المتعلقة ببنية التتابعات الجملية، ويمثل هنا بهذين النموذجين كالتالي :

١ـ لقد انعقد بالأمس عرس . وكانت العروس ترتدي ثياباً أبيضاً طويلاً.

٢ـ رشني بيتر بالماء . ولقد بللني الماء كاملاً .

يحتوي " العرس " في المثال (١) في أنه يحيل إحالة غير مباشرة للخطوبة، ويحتوي الاسم في (٢) علي إحالة ضمنية إلي شخص محدد ......[٥٥] .

---

[53] H . Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie , S . 162 .

[54] زتسيسلاف واورزنياك : مدخل إلي علم النص ص٦٣ .

ويـــري إيزنـــبرج أن تركيـــزه عـــلي الإحالـــة (ب) : الضـــمنية . وقـــد وضـــع عـــدداً مـــن الـــرموز، أرى مـــن الـــلازم علي تقديم تفسير لها علي نحو مـــا قـــام هـــو بـــه، خاصـــة وأن قضـــايا التحليل، فيما يلي من البحث، تعتمد عـــليها بشـــكل كـــبير، وهـــي تحتاج إلي متابعة دقيقة من القارئ؛ ليكون علي علم بمرادها، ونذكرها كالتالي :

<u>(N+)</u> : بـــنية جديـــدة (ب ج) : البـــنية الـــتي يميـــل إليهـــا الاســـم المباشـــر/الصـــريح، الـــتي لا يمكـــن أن تعـــد جـــزءاً مـــن النص يسهل إحالته بطريقة غير مباشرة .

<u>(N-) :</u> بـــنية غيـــر جديـــدة (ب غ ج) : تمـــثل البنية التي يقع عليها الاسم بطـــريقة غيـــر مباشـــرة (ضـــمنية) والـــتي لا يمكـــن أن تحال في النص مرة أخرى بشكل ضمني .

<u>(id +)</u>: مـــتطابق (ت) : وهـــنا يوجـــد للاســـم اســـم آخـــر، يسبقه في النص ويحال عليه نفس الشيء بطريقة مباشرة .

<u>(id -)</u> : غيـــر مـــتطابق (غ ت) : وهـــنا يوجـــد للاســـم ممـــاثل أو مطابق آخر، يمكن أن يسبقه في النص، أو يحال إليه النص بطريقة مباشرة .

---

[55] H . Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie , S . 162 .

. هـــذه الرموز الواردة ما بين الأقواس مع كل رمز تمثل اختصاراً لكل هذا الكلام مع كل منها، تجنباً للإطالة، وكما ذكرها إيزنبرج .

(+ k) : معــروف (ع) : هــنا يفــترض المــتحدث أن البنية التي يحال إليها الاســم (بطــريقة مباشـــرة) معــروفة للســامع؛ معنى ذلك أن المتكلم يفترض أن هذا الموضوع معروف للمتلقي .

(- k) : مجهــول (هــــ) : هــنا يفــترض المــتحدث أن الموضــوع الذي يمكــن أن يحـــال إليـــه الاســـم (بطــريقة مباشـــرة) ليــس معروفاً للسامع، ومعـــنى ذلـــك أن المـــتحدث يعــرف أن هـــذا الموضـــوع لا يمكن تحديده (أو معرفته) عن طريق المتلقي .

(+ i) : محـــدد (ح) : هـــنا ينـــبغي للمـــتحدث تحديـــد الموضوع الذي يمكن أن يحال إليه الاسم بطريقة مباشرة .

(- i) : غيـــر محـــدد (غ ح) : لا يمكـــن للمـــتحدث أن يحدد الموضوع الذي يمكن أن يحال إليه الاسم مباشرة .

(+ g) : عـــام (أع) : بمعـــني أن الاســـم، لا يـــؤدي مباشـــرة إلـــي الإحالـــة الضمنية، والاسم لا يقوم علي موضوع محدد (مخصوص) .

(- g): خـــاص (خ) : لا يـــؤدي الاســـم إلـــي إحالـــة مباشـــرة، ولا يقوم علي خاصية محددة .

(+C) : تقابلي (ق) .

(- C) غير تقابلي (غ ق) .

(+d) : محـــدد بشـــكل مباشـــر (م ش ب)، حيـــث إن المـــتحدث يفـــترض أن الموضـــوع الـــذي يحـــال عـــليه الاســـم مباشـــرة، يمكـــن أن يُعـــرف أو يحدد مباشرة من المتلقي .

(d -) : غيــر محــدد بشــكل مباشــر (غ م ش ب) : حيــث إن المــتحدث يفــترض الموضــوع الــذي يحــال إليــه الاسـم غيــر محــدد بطريقة مباشرة للمتلقي[٥٦] .

وأحســب أن هــذه العناصــر المستخلصــة للســمات المميزة للإحالة، بــناء عــلي واقــع فعــلي، وقــد أدى به هذا الاستنتاج للرموز المستخلصة في (١/٥) إلي العنصر الذي يليه، وهو ما أعرض له في المطلب التالي .

٢/٥ : محدد النص (Textmark)

يعــتمد هــذا العنصــر عــلي العنصــر الــذي قــبله (١/٥) : الســمات المميــزة للإحالــة، وهــي بــناء عــلي استخلاصات فعلية من نصوص مختلفة، وبالــتالي يمــثل تــنظيراً / تــنظيماً لمــا ورد ثمــة، وهكــذا تتجلى العلاقة بين العنصرين، ونشير إليها حسب تحليل إيزنبرج لها .

إذا كــان إيزنــبرج يعــد مــن أوائــل عــلماء الــنص الألمان في تقديم نظــرية نصــية، فإنــه عــلي الــرغم مــن ذلك يقر بما لا يدع مجالاً لريب : أن مــا أنــتجه " نحــو الجمــلة " و " نحــو النص " من كم معرفي في كل اللغات، ليســت رؤى أخيــرة[٥٧]، ويحــاول أن يعطــي مدخلاً للجملة والقضايا الأساسية فــي هــذا الاتجــاه، ومــن هــنا فقــد حاول أن يقدم تحديداً للنص، يختلف عن الجملة، على النحو التالي :

١ــ محتوي النص أطول ومحتوي الجملة أقل [•] .

---

[56] H . Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie , S . 162 .
[57] Ebenda , S .166 .

[•] حول الفروق الجوهرية بين النص والجملة ينظر : H . Isenberg : Text (Verus) Satz =

٢ــ النص يمثل سلسلة (متتاليات) من العلاقات الداخلية والخارجية .

٣ــ النص هو سمة / رمز لكليات النص (Textgranz) [٥٨] .

ذكرت فيما سبق أن خواص كليات النص عند إيزنبرج، وأن مقاربة بينها وبين معايير بوجراند / درسلر من جهة، وما يمكن تطبيقه علي عناصر البلاغة العربية، من جهة أخرى .

ويبدو لي أن عناصر هذا التعريف للنص حاوية لكل السمات المميزة لكليات/ معايير النص، حسب تعبير إيزنبرج، وقد جاءت الإشارة إليها في موضع سابق، ويمكن أن أزيد الأمر توضيحاً وتوكيداً لما ورد ثمة بما يلي : أحاول أن أناقش أولاً العناصر على النحو التالي :

(١) : محتوي النص أطول ومحتوي الجملة أقل، علي أن هذا التعريف يضع تفريقاً دقيقاً، علي الرغم مما يبدو فيه، أنه غير متماسك . فإذا كان إيزنبرج قد حدد أن النص، إنما هو يتكون من السلاسل الجملية، وبناء عليه فإن المفارقة واضحة بين بنية " النص " و " بنية الجملة " والعلاقة القائمة بينهما علاقة العموم بالخصوص أو العكس هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن هذه التتابعات ليست بالضرورة أن تكون ماثلة علي السطح (بنية السطح)، إذ قد يكون ما هو ماثل في بنية السطح أقل بكثير مما هو مقدر(محذوف)،

= S . Shmidt : Texttheorie , S. 151 : 154 .

وقد كانت هذه الفروق واضحة في ذهن إيزنبرج .

[58] H . Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie , S . 166 .

ومن ثم فإن إيزنبرج كان محدداً عندما ركّز علي أن التمايز بينهما، ليس أخذاً بما هو واضح في التتابعات الجملية، وإنما لا بد من مراعاة المكونات الأساسية للجمل المحذوفة التي تتسق مع بنية العمق، وبالتالي فإن المفارقة بينهما قائمة علي أساس المحتوي، فقد تكون الجملة نصاً، بناء علي ما هو مقدر .... أما العنصر (٢) و (٣) فيما ورد من تعريف للنص، فيمكن أن أشير إليه علي النحو التالي :

(٢) : يمثل النص سلسلة من العلاقات الداخلية والخارجية :

ويمثل هذا العنصر ما يلي :

أ ـ العلاقات الداخلية : (وتمثل البنية العميقة الرابط بين بني النص) أو ما يمكن أن نطلق عليه السبك : (kohärenz) .

ب- العلاقات الخارجية : (ويقصد بها العلاقات اللغوية الممثلة في بنية السطح أو بالمصطلح النصي الحبك : (Kohäsion) .

وهذان العنصران هما المعياران المختصان بالنص، حسب التقسيم السابق، وأراهما كامنين في ذلك التعريف السابق .

(٢) : النص هو رمز (سمة) لكليات النص :

يمثل هذا العنصر خلاصة السمات الباقية لكليات النص، فإذا كان الجزء السابق من التعريف قد حوى العنصرين المختصين بالنص . فإن السمات الكلية الأخرى للنص أراها جامعة لكل السمات الأخرى غير اللغوية عند إيزنبرج، وبالتالي أراها تشتمل علي :

١ــ ما يتصل بالجوانب اللغوية بشكل عام :

ويدخل تحت هذا الإطار التعاقب الزمني، الروابط الإحالية، الروابط بالحروف، الحذف .... الخ .

٢ــ ما يتصل بالجوانب غير اللغوية :

مثل نوعية النص، موضوع النص، مراعاة المتكلم للمتلقي، وهذه العناصر مهمة في أن النصوص بشكل عام يمكن أن يكون غنياً بالدلالات إذا ما استثمر الاستثمار الجيد، وبالتالي فإن نظرية النص لدى إيزنبرج ينطبق عليها قول أومن : أن هذا التحليل النصي يهدف إلى بيان غنى النصوص، وتوضيح المستويات اللغوية ... ولا بد أن يؤخذ في الاعتبار المتلقي الذي يمكن أن يؤدي فهمه المختلف / المفارق لنوعية بناء النص، ولهذا ينبغي أن يؤخذ في الحسبان العلاقة القائمة بين نوعية النص وبنائه، وتفهم دلالات توظيف نوعية النصوص الطويلة من البداية حتى النهاية [٥٩].

أ ــ ما يختص بالمنتج أو المتلقي .

ب ــ ما يتصل بالسياقات المادية والثقافية المحيطة بالنص .

ومن هنا يعد هذا التحديد للنص ــ هو سمة لكليات النص ــ جامعاً لكل العناصر الأخرى المتعلقة به والمكونة لسماته الجوهرية، وبالتالي فإن ما فصله في بحوث أخرى نجد فحواه كامناً في هذا التعريف، وجامعاً أيضاً لكل خواص كليات النص الواردة سلفاً، ليؤدي في عاقبة الأمر إلى الوظيفة الاتصالية للنص، وهي السمة الجوهرية التي تميزه .

---

[59] Oomen U . : Systemtheorie der texte, S . 66 : 67 .

وأحسب أن هذا التعريف للنص، إنما يقوم علي أساس الربط بين الجمل، وأن نظريته، إنما هي في الأساس لإقامة " نحو للنصوص " من خلال الاستقراء، ومن ثم فإن طرحه ينطلق من أن النصوص في الأساس يمكن تحديدها بأنها : تكوين بسيط من الجمل تنشأ بينها علاقات تماسك [٦٠] . هذه الجمل مهمة لأنه لا يغفل " نحو الجملة " الذي يبدأ منه في تحديد الجملة والتي على أساسها تتحدد نوعيتها، بما تشكل هذه الجمل بعضها مع البعض الموضوع الأساسي للنص[٦١].

وإذا كان ما ذكره فولفجانج / ديتر من أن نظرية إيزنبرج ظلت في إطار" نحو النص "، فإن هذا قائم علي استخلاص " قواعد النص " من النصوص، وبالتالي وصف للعلاقات الداخلية والخارجية، وهذان العنصران مجتمعان يؤديان وظيفة الاتصال فيما يرتبط بالنص، وهذه المهمة لـــ " نحو النص " أو علم لغة النص عند إيزنبرج يصفها (بناء علي ما ورد عند إيزيز) فانديك، وأحسب أنها تنطبق علي ما قام به إيزنبرج : بأن مهمة علم النص وصف الجوانب المختلفة لأشكال الاستعمال المختلفة في ترابطها الداخلي والخارجي[٦٢]. وهو ما يتفق مع

---

[60] نقلاً عن فولفجانج / ديتر : مدخل إلي علم لغة النص ص٢١ (بتصرف) .

[61] **Oomen U . : Systemtheorie der texte, S 69 .**

[62] **Van Dijk : Textwessenschaft , S . VIII .**

وقد نقل د. صلاح فضل " مهمة علم النص " المشار إليها في المتن، كما هي دون تغير تقريباً عن فان دايك، ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص ص ٢٤٧ .

الوظيفة الاجتماعية التي تقوم بها النصوص في المجتمع، وهي الوظيفة الاتصالية.

أعود مرة أخرى لأذكر أن ما ذكره إيزنبرج، إنما هو تأطير لتلك الاستخلاصات الواردة في المطلب السابق (١/٥)، كما ذكرت ذلك، ومن ثم يمكن أن نذكر السمات الخاصة بمحدد النص، كما استخلصها إيزنبرج علي النحو التالي :

١ــ النص ← (ص) # جملة (ج) #) .

٢ــ ج ← مركب اسمي (م س) / مركب فعلية (م ف) .

٣ــ م ف ← ف (م س) (م س) .

٤ــ م س ← س (ج) .

٥- س ←

ب ج

س م ع*

{ ب ج
ب غ ج }

{ ت
غ ت }

{ ع
هـ }

{ ح
غ ح }

{ أ ع
خ }

{ ق
غ ق }

{ م ش ب
غ م ش ب }

{ ج ص
ج غ ص }

{ د
غ د }

{ ط
غ ط }

. . .

---

*(r+) : يقدم إيزنبرج تفسيراً لهذا الرمز بأنه : السمة العامة للإحالة (س م ع)، التي يمكن أن يقـوم عـليها عدد الإحالة، والقاعدة (١) تؤدي إلى سمة دلالية نهائية للنص، وتؤدي إلى تتابع نهائي من الخطوات، وبذلك تنشأ منها القاعدة التي يمكن أن نطلق عليها " محدد النص ".
Sehe : Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie, S. 167 .

وبالـــتالي فـــإن هـــناك أنواعـــاً مختـــلفة مـــن الإحـــالات المباشـــرة والضـــمنية، والمقابـــلة وغيـــرها والمحـــددة وغيـــرها والمعـــروفة وغيـــر المعـــروفة والـــندائية وغيـــرها ... الـــخ . وجاءت هذه الإحالات لتكون تحديداً كـــلياً لبـــنية الـــنص، وتعكـــس نوعيـــة النصوص تصوراً عاماً لسمات خاصة بكـــل موضـــوع، كمـــا قســـمها زتسيســـلاف مـــن حيث الإحالة (ضمير المتكلم والغائب والثالث) إلي أنماط رئيسية كالتالي[٦٣] :

١ـــ نصوص حوارية (ثنائية) .

٢ ـــ نصوص خاصة بالمرسل (حوارية فردية ـــ متجهة إلي الداخل [فردية]) .

٣ـــ نصـــــوص خاصـــــة بالمســـــتقبل (حواريـــــة فـــــردية ـــ متجهة إلي الخارج (غير ذاتية) .

ومـــن هـــنا فـــإن هـــذا التصـــور يمكـــن أن ينتج أشكالاً عدة للإمكانات الـــتي تنـــتجها الســـياقات الـــلغوية وغيـــر الـــلغوية، ومـــرد الخلاف ليس بين إيزنـــبرج وزتسيســـلاف وحدهمـــا، وإنمـــا مـــرجعه لاخـــتلاف الـــتوجهات لدي الباحـــثين، وقـــد أدي هـــذا التصـــور بقصد (أو بدون قصد) إلي الاختلاف في النهج المستعمل لدي كل منهم .

واخـــتلاف تصـــور إيزنـــبرج فـــي تعـــريفه للنص ليس مع زتسيسلاف وحـــده، لكـــن مـــع بوجـــراند[٦٤]، فبعد أن عرض زتسيسلاف رؤى علماء النص حول مفهوم النص، خلص إلي ما يلي :

---

[63] زتسيسلاف واورزنياك : مدخل إلي علم النص ص٩٦ .

١ـ تعــبر الــتعريفات المتبايــنة عــن جوانــب جزئية متباينة للظاهرة الشاملة (النص) .

٢ـ الــتعريفات، إمــا خاصــة متعــلقة بــتركيب النص (إيزنبرج / هارفج)، وإمــا بــرجماتية (شــميت / جلــنس)، وإمــا أخيراً مجسدة لجوانب مختلفة (أجريكولا) .

٣ـ تأكيد ـ علي ضوء محاولات التعريف التي أوردت هنا ـ أن " نحو الــنص " و " دلالــة النص " و " وبرجماتية النص " تعد فروعاً لعلم لغة النص[٦٥] .

ويخــلص زتسيســلاف إلــي تعــريف جــامع ـ فيمــا أظــن ـ لكــل التصــورات الــتي عرضــت لــتعريف الــنص، فيقــول : نفهــم تحت " نص " مكونــاً لغويــاً أفقيــاً نهائيــاً، مقصــوداً به التطابق لواقعة التواصل المختصة، فيصــير مــن خــلال الدمــج الإنجــازي وأوجــه التــناظر الدلالية الموضوعية والترابطات النحوية تتابعاً متماسكاً من الجمل[٦٦] .

وقــد أدي هــذا الاخــتلاف فــي التصــورات إلي فهم طول النص وقصر الجمــلة[٦٧]عــند إيزنــبرج فهمــاً ســطحياً، بــأن مقصــده لــ " محتوى النص " ليــس العناصــر الماثــلة عــلي الســطح، إذ ثمة عناصر لغوية أخرى مقدرة .

---

[64] ينظر بوجراند : النص والخطاب والإجراء ص٣٩١ .

[65] زتسيسلاف واورزنياك : مدخل إلي علم النص ص ٥٩ ، ٦٠ . وينظر :

H . Vater : Einführung in die Textlinguistik , S . 9 .

[66] زتسيسلاف واورزنياك : مدخل إلي علم النص ص٦٠ .

[67] Sehe : H . Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie, S . 166 .

وعلي الرغم من ذلك، فإن المفارقات بين إيزنبرج وزتسيسلاف، أن تمثيلات إيزنبرج بالنص لم تتعد جملتين ــ وأحسب أنها رؤية كثير من علماء النص ــ في حين تمثيل زتسيسلاف بنصوص طويلة، وكذا الحال مع بوجراند .

يوضح ما سبق أن تعريف زتسيسلاف يجمع التصورات السابقة ويتجاوزها، وإن كان يركز تصور إيزنبرج علي العناصر اللغوية، بيد أنه لا يغفل عناصر برجماتية (غير لغوية] .

وقريب من تصور إيزنبرج من جهة الاعتماد علي الإحالة تصور هارفج، إذ قدم تصوراً لعناصر الاستبدال في الإحالة معولاً عليها في بناء نظريته في الاستبدال . غير مفارقة من جهة أخرى بين التصورين، في أن تصور إيزنبرج لا يغفل مع الإحالة ــ في بناء النص ــ عناصر تداولية أخرى، في حين يجعل هارفج عناصر الإحالة الأساس (أي العناصر اللغوية) وإليها المرجع في توثيق عرى بناء نظريته، وعلي الرغم من ذلك فإن وجوه المقاربة تظل ماثلة .

نلاحظ من خلال التعريف أن إيزنبرج يلح في مواضع عدة علي مصطلح " تتابع "، ومن ثم فإن تصوراته قائمة علي أن القواعد الأساسية في اللغة تنقسم إلي قواعد لا يحدث في بنيتها تغيير (الجانب الصوتي / الصرفي) ، وقسم يقع فيه تغيير (الجانب التركيبي)، الذي تتسم قواعده بالمرونة والحرية، هذه المرونة تتيح للمنتج، أن يستخدم أشكالاً لغوية لا متناهية في إطار القواعد العامة للغة، وقد خلص إيزنبرج إلي عدد من خصائص " نحو النص " أذكرها علي النحو التالي :

ـ التتابع الأفقي للجمل .

ـ تحديد الجهة اليمنى واليسرى .

ـ الاستقلال النسبي .

ـ التماسك داخل تتابع الجمل .

ـ علاقات دلالية بين مكوناتها السطحية "[68] .

وأحسب أن مصطلح " التتابع " بين الجمل يعد أهم سمة من بين هذه السمات النصية، بل أنها سمة في أي نظرية نصية على الإطلاق، وفي هذا الصدد يخلص فولفجانج / ديتر إلي أن هذه الرؤية، إنما تمثل (مشكلة ربط الجمل) علي أنها شرط لإيضاح عمليات إنتاج النص، ويمكن أن تشترك مع مكونات النحو الأخرى في إيضاح مفهوم النص جيد السبك في لغة ما، وبناء علي ذلك تتحدد السمة الكلية " جودة السبك " بأنها : تتابع أفقي متماسك لوحدات لغوية مترابطة بشكل متتابع، بناء أسس محددة "[69] .

علي أن هذه العناصر " محدد النص " لدى إيزنبرج فيها تشابه قائم مع تصورات (شتاينتش) التي حددتها في مقال لها عن الصيغ الاسمية المبدبلة (Nominale pro-Fromen) بإمكانات ثلاث لإعادة حامل الإحالة:

١ـ من خلال تكرير الاسم ذاته،إذ يربط به هذه المرة، بناء العلامة (م) .

---

68 فولفجانج / ديتر : مدخل إلي علم لغة النص ص٢١ .

69 السابق : الموضع ذاته .

٢ـ من خلال ضمير شخص معرفة (هو، هي، ضمير الشيء).

٣ـ من خلال اسم آخر، يجب أن يفي بشروط دلالية مميزة [70] .

علي أنني يمكن أن أنظر إلي هذه التصورات من وجهة نظر نقدية، في مقابلة مع تصورات إيزنبرج في التصور الذي اقترحه، بناء علي السمات المميزة للإحالة(ينظر : ٢/٤) وهي وسائل لغوية أكثر بكثير من تلك التي اقترحتها شتاينتش، وهذه الرؤية لمحت إليها في إشارة نقدية، إذ لا تظل الصيغ المبدلة ـ في رأيي ـ مقتصرة علي المركبات الاسمية فقط، حيث يمكن أن توجد تلك الصيغ التي تتضمن سمات دلالية أكثر من تعبيرات الإشارة [71] .

علي أنني أود أن أثبت أن تلك الرموز الواردة في بحثه تشير إلى أن عناصر نظريته قائمة بعضها علي بعض، وبالتالي فإن محدد النص : (٢/٥)، إنما هو قائم علي تصورات السمات الجوهرية المميزة للإحالة، ومن هنا فإن " محدد النص " إنما مترتب علي تلك الوسائل (القواعد) المستخلصة من السمات الجوهرية للإحالة، ويعكس هذا التصور الترابط بين العناصر الأساسية المكونة لنظريته من جهة أخرى .

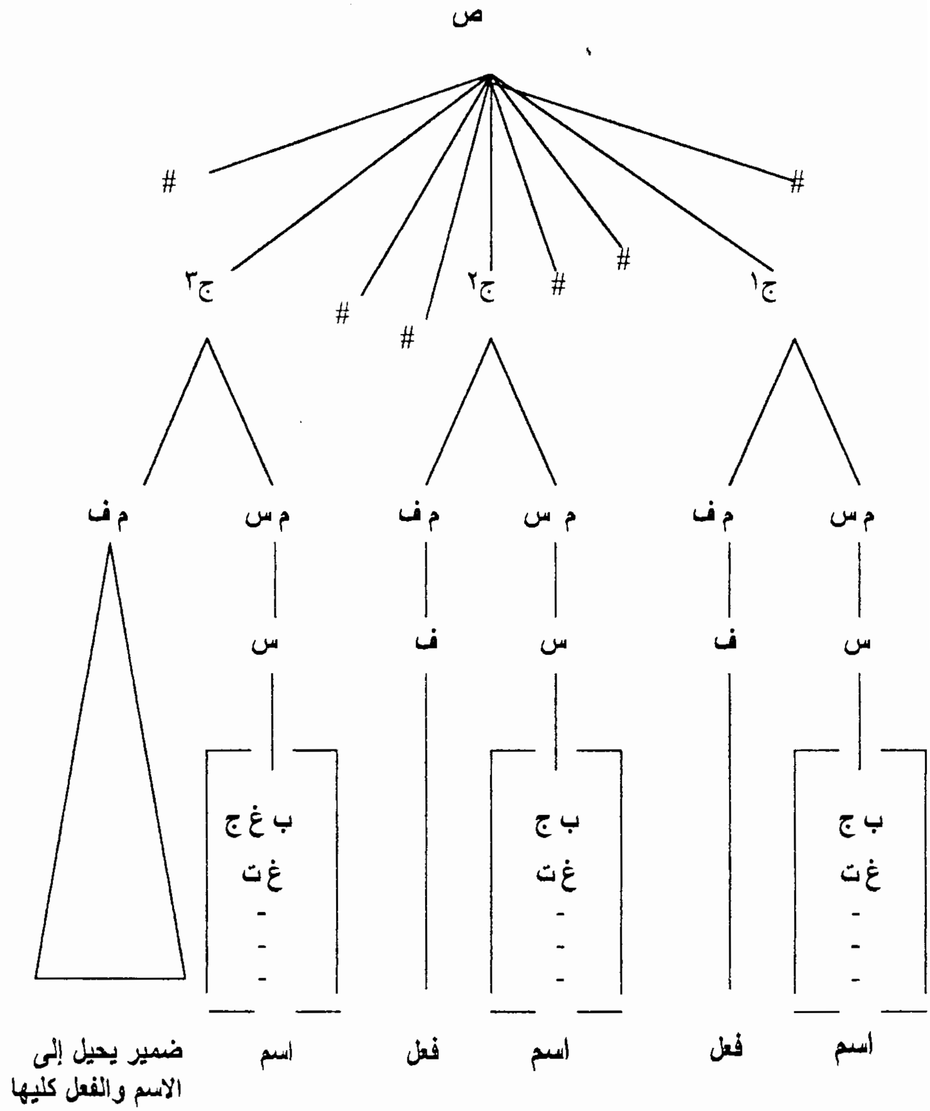
وإذا كانت هذه الرموز، فقد عقب عليها باستخلاص سمة جوهرية ترتبط بالتركيب الاستدعائي / الندائي، إنما يقوم بتنشيط السمة الجوهرية للإحالة (Referienzmerkmal)، وبالتالي يؤدي إلي استخلاص قواعد أعداد الإحالة .

---

[70] زتسيسلاف واورزنياك : مدخل إلي علم النص ص ٦٣ .

[71] السابق : ص ٦٤ .

وتعـــتمد عمـــلية الاســـتخلاص عـــلي الـــنص كله، وعلي الترتيب، ومع ذلـــك فإنهـــا قائمـــة عـــلي أســـس معرفية مركزة، وتمثل بدورها الأبنية النصية الكـــبرى[٧٢]. وأوضـــح ــ كمـــا فعـــل إيزنـــبرج ــ النســـق القـــاعدي لـــ" نحو النص" الذي استخلصه علي النحو التالي :



---

72 Sehe : H . Isenberg Überleungen zur Texttheorie, S . 167 .

النسق القاعدي للإحالة في النص**

ويدل هذا التقسيم الشجري للجملة المباشرة، ضمن داخل حدود النص علي أن سمة بنية الجملية (P . Marker) هي بنية عامة [٧٣] .

٥/٣ : مدخل إلي أعداد الإحالة(Einführung Von Referenz Zahlen)

يقـــرر إيزنـــبرج ــ بناء علي ما سبق ــ أن الأسماء الموجودة في النص (النصـــوص)، تقـــوم بوظيفة أساسية، هي إظهار الإحالة (المرجع) بإقامة علاقة وثيقة مع عناصر لغوية أخري، ممـــثلة في التتابعات الجمـــلية (بنية السطح)[٧٤] . وأوجـــز قواعد الإحالة عنده على النحو التالي :

١ ــ (س م ع) ⟵ (س م ع. د*) / (س م ع . ب د ع) (غ ت) ،

ونوضح ذلك بما يلي :

أ ــ(x) : يمثل هذا الرمز سلسلة (فارغة أو غير فارغة) من الرموز، لا تحتوي على

رمز معقد بأعداد الإحالة، ونرمز إليه بــ (س ف) .

ب (P ,Z) : أعداد الإحالات = ١، وفي هذه الحالة يحتوي الرمز الإحالي على رمز معقد، ولا يوجد قبله رمز مرتبط بعدد الإحالات[٧٥]. ونرمز لها بالرمز التالي (ر ح ع) .

** ينظر هذا التخطيط الشجري ص ١٦٧ من بحث إيزنبرج المعتمد هنا .

[73] H . Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie , S . 167 .

[74] Ebenda ,S . 168 .

* يشـــير الرمز (د) إلى ما اقترحه إيزنبرج (z) وهو على ما يبدو اختصاراً لكلمة (Zahal) العدد .

٢ـ (س م ع) ———← (س م ع . ح م) / (س م ع . ح م) (ب—) كما يلي :

أـ(✕) سلسلة مطلوبة (فارغة أو ليست فارغة)من الرموز، ونرمز إليه بـ (س م) .

ب ـ (u) تعتبر عدد إحالي مطلوب [٧٦]. ونرمز إليها بالرمز (ع ح ط) .

إن خلاصة ما ورد هنا من قواعد يمثل سمات خاصة مميزة للإحالة، ومن ثم فإن القاعدة (أ) مختصة بالأسماء في تتابع خطي غني بالسمات النصية المميزة لها . هذه السمات تصف في كل مرة السمات الجوهرية للأسماء، في مقابل أعداد الإحالة ، ومن خلال هذا الوصف الأولي لأعداد الإحالة تلتقي مع الحالة (س)، وتكون هذه السمة المميزة بعيدة تماماً في محتوى (غ ت)، ثم تأتي بعد ذلك كل الأسماء في خط غني بالسمات المميزة للنص في القاعدة المستعملة في (ب)، وهي تمثل سمات معقدة فيما تحتوي على (غ ت) .

٥ / ٤ : قواعد النص (Textregeln)

يشير إيزنبرج في تفصيل لقواعد النص بأننا نفترض أن هناك قاعدة تسمى (قاعدة التحول)، ويمكن أن نطلق عليها " قاعدة النص " والتي يمكن أن تحذف كل جملة لمحدد النص، الذي يمكن أن يحتوي على اسم بدون عدد الإحالة، هذه القاعدة النصية تسمى

(Bel-S/ +R) : وهنا يمكن استئصال أي جملة منتشرة في النص في حالة ما إذا كانت الجملة تحتوي على اسم بدون عدد إحالي .

---

[75] Ebenda, S. 168 .

[76] Ebenda, S. 168 .

ويمكننا – أيضاً – أن نفترض أن " قواعد النص" في مجرى التحول عبارة عن اشتقاق للنص، يمكن عن طريقه تحقيق السمات البنيوية، سواء استخدمها أم لم يستخدمها، وبذلك يحدث تجريح لقاعدة النص[٧٧] . ولنأخذ المثال التالي :

هو كبير

يحدث في هذه الحالة ما يسمى بـ " اللبس* "، وهو ينحصر في أن الإحالة ظلت واضحة، ولا يعلم أحد على أي شئ يمكن أن يحال الضمير(هو)، ويمكن أن نوضح هذا العنصر عندما نفترض أن (أداة التعرف) ضمير التعريف للشخص الثالث (هو) للمفرد، وهو ليس جملة، ولكن يمكن أن يحال إلى جمل[٧٨].

ولا ريب أن " النحو " هو الذي ينتج هذه القواعد ... كما أن هذا الترتيب لا يحتوي على ترابط من خلال أعداد الإحالة ... على أن هذه الآلية، هي التي أنتجت هذه القواعد الأساسية المميزة له من خلال تضافر عناصر الجمل مع عناصر الإحالة [٧٩] .

---

[77] H . Isenberg : Überlegungen zur Texttheorie, S .169 .

* يمثل مصطلح "اللبس" سمة جوهرية في علم لغة النص العربي، فيما عُرف في البلاغة العربية بـ(المجاز) والكناية...الخ هذه المصطلحات التي تمثل الإحالة إلى شئ محدد مشكلة عويصة، بحيث يمكن أن تحيل إلى أكثر من شخص أو موضوع دون تفريق واضح ودقيق . وتحتاج هذه المواضع إلى دراسات موسّعة لتحديد " قواعد النص " الخاصة بها .

[78] Ebenda ,S . 169 .

[79] Ebenda ,S . 170 .

ـ فــي الجمــلة (Bl - S / + id) يسود ـ غالباً ـ في النص المباشر الحذف المشروط كالتالي :

١ ـ محــتوى الجمــلة الاســمية مع (ت) و (س م ع . د) مثل : (د) لعدد الإحالة .

٢ ـ لا يوجد اسم مع السمات النصية؛ لأن :

أ ـ الاسم مقابل الاسم .

ب ـ الاسم يحتوي على (س م ع . د)، و*

ج ـ هــنا يوجــد بيــن الاسم والاسم علاقات دلالية(الاسم اسم) و الاسم يكون اسماً[٨٠] .

ـ في الجملة (El - S / +C) في الجملة المباشرة غالباً ما يسود الحذف على النحو التالي :

١ ـ تحــتوي الجمــلة على اسم مع (ق) و (س م ع . د) مثل (د) في عدد الإحالة [٨١].

٢ ـ لم يعط الاسم السمة الجوهرية قبل للنص؛ لأن بنيته :

أ ـ الجوهرية توجد قبل الاسم و .

ب ـ الأساسية تحتوي على (م ع) و .

ج ـ تــتكون مــن الاسم مع الاسم، وكلاهما يرتبط بالآخر؛ نتيجة تفاعل بنية السطح مع بنية العمق[٨٢] .

---

*يشير ڤولفجانج / ديتر إلى أن (و) تدل على وظائف اتصالية، ص ٥١(مرجع مذكور أعلاه).

[80] Ebenda ,S . 170 .

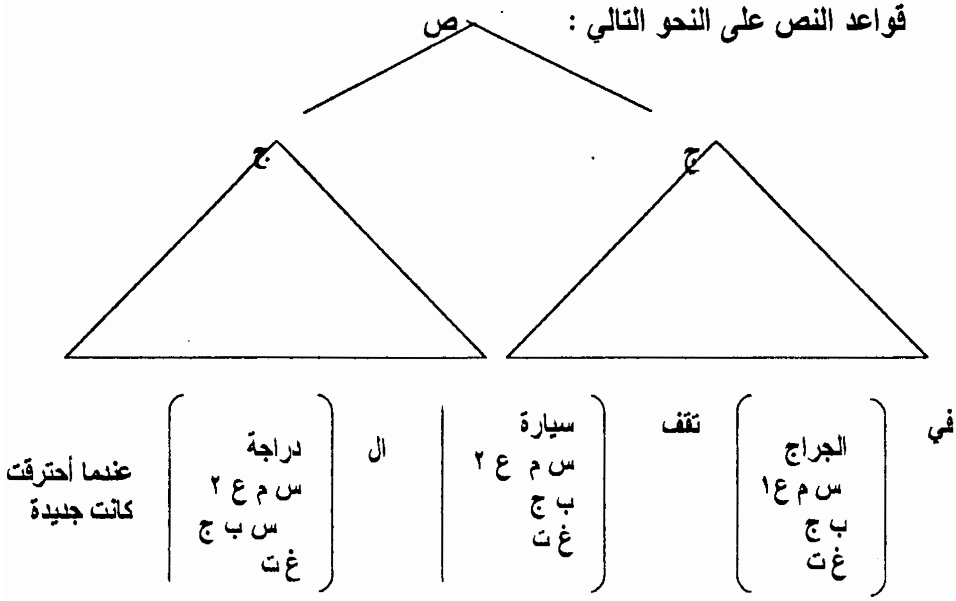
[81] Ebenda ,S . 170 .

[82] Ebenda ,S . 170 .

هذه الإمكانية (الترابط) غاية في الأهمية، فيما يتعلق بالعلاقات الدلالية، وهـي واجـبة مـتى وجـدت إمكانيـة اسمين متطابقين، لهذا يستحسن، بل من الضروري أن تكون متوفرة للنظرية الدلالية .

وإذا أردنـا التحـليل نقـول إن الـتخطيط الـتالي الـوارد بعـد قليل (El-S/+id) مـن خلال أبنية نصية أخرى : (أل) " سيارة "، وهي " دراجة "، ليست بنية أساسية (أل) "سيارة " ، وهي " دراجة "، ثم يضـاف إلي ذلك أنـها في (١) لا يوجـد تطـابق لـ(El-S/+id) عند (٢) متى تكون " دراجة " "[٨٣].

ولهذا فإن المطابقة تمثل اختلافاً في قواعد النص، لأنها ليست بنية(أل) " سيارة " هي " دراجة "، وغير مترتبة على الاستعمال، وأينما استعملت فلا بد أن تـراعى المطابقة (الإحالية)، ومن خلال كل هذا يستحسن قبل التحليل أن نعرض قواعد النص على النحو التالي :



[83] Ebenda ,S . 171 .

تخطيط يوضح كيفية بناء النص

ومن ثم فإن قواعد النص مهمة / ضرورية في تصحيح الإحالة حين يقع التناقض الاسمي على النحو التالي :

١ـ زرت صانع الأحذية والجزار

الرجل كان ودوداً

٢ـ زرت صانع الأحذية والجزار

الرجل كان ودوداً جداً (النقاش) .

٣ـ زرت بالأمس صانع الأحذية . الرجل كان ودوداً جداً .

الرجل في الجملة الأولى لا يقع على صانع الأحذية ولا يقع على الجزار، فهنا حسب رؤية إيزنبرج حدث تناقض من حيث إن (الرجل) على أيهما يحيل، وبما أنه ليست ثمة قرينة على أحدهما، وبالتالي حدث لبس أو تناقض .

وفي المثال الثاني أيضاً، مثل المثال الأول، غير أنه في المثال الثاني أضيفت مشكلة جديدة، فإذا كان في المثال الأول، لم يحل الرجل إلى شخص محدد، ولم توجد قرينة تدل على ذلك، فإن المثال الثاني قد أحال، غير أن الإحالة توقع في مشكلة، خاصة أنها تحيل إلى (النقاش) وهو ليس له ذكر في النص الوارد قبلاً، وهكذا نرى أنه ليس ثمة إحالة وعندما وجدت، بدلاً من أن يزيل اللبس، وقع الغموض أكثر .

وفي المثال الثالث، نرى أن الإسكافي، الذي يعود عليه الرجل، واضح أن الرجل هنا ليس كمثل النص الأول والثاني، لأن شرط التناقض لم يتحقق بعد، وبالتالي فإن الرجل هنا يحيل / يعود إلى الإسكافي وليست ثمة مشكلة .

ويغلب الحذف في النص المباشر على النحو التالي :

١ ــ تحتوي الجملة على اسم مع (+ ٢) و (م ع) مثل : الإحالة، كما أن التكرار في بنية النص مشروط هكذا :

٢ ــ يحتوي الاسم (ت) ويوجد اسم (١) قبل الاسم في السمة النصية، لأن البنية يمكن اعتبارها كالتالي :

أ ــ في الاسم (١) تحتوي (+ م ع) .

ب ــ يوجد قبل الاسم في السمة الجوهرية للنص على الأقل اسم واحد، واسم (٢) مع (+ م ع . ع ح ط) م ع ج +ع ح ط ، لهذا فإن الاسم (١،٢) ساد فيها الضمير الاسمي (ض س) مباشرة .

ج ــ لا يوجد بين الاسم والاسم في (١) سمة جوهرية للنص إلا في الاسم (٣) (م ع) .

٢ ــ يتضمن الاسم (غ ت) سمة غير موجودة كثيراً في نصوص مادة الدراسة التي أقام عليها إيزنبرج تصوراته .

على أنني ألاحظ أن هذه التصورات المتعلقة بنظرية النص عند إيزنبرج والتي وضع أسسها في بحثه والذي أضاف إليها ــ في بحوث أخرى تالية ــ عناصر أخرى، بناء على ما ورد من ملاحظات، ومن ثم أقرر ــ مرة أخرى ــ أن مثل هذه الإضافات لم تخل بالعناصر الأساسية المكونة لنظريته .

ويمكن أن أوجز تلك المعطيات السابقة فيما يلي :

على الرغم من الانتقادات التي وجهت لنظرية إيزنبرج، فإن ثمة أموراً ماثلة في نظريته تحسب له وتثقل ميزانه، وهي ليست عليه، بل له، فيما أرى، وأجملها فيما يلي :

١ ــ يكفي إيزنبرج أنه من أوائل علماء النص الألمان الذين حاولوا تقديم تصورات / مقترحات حول نظرية النص .

٢ ـ التأكيد على الترابط بين الجمل التي تمثل فيما بينها نصاً محكماً جيد السبك، والتي حددها " أومن" بأنها الأساس التي تكون قواعد النص .

٣ـ التأكيد على الترابط بين الأبنية النصية الصغرى، فيما بينها، وهذه عملية مهمة؛ لأنها تعكس من جهة أخرى الترابط القائم بين أجزاء النص .

٤ـ التأكيد على أن هذا الترابط بين التتابعات الجملية، لا بد أن يعكس ترابطاً داخلياً وخارجياً، ويقصد بذلك، كما جاءت الإشارة في ثنايا التحليل (جودة السبك ـ وكمال التأليف) حسب تعبير إيزنبرج .

٥ـ تعد التتابعات / السلاسل الجملية الأساس الأول في نظرية إيزنبرج، وهي أساسية، وشرط لإيضاح عملية إنتاج النص، ويمكن توسيع الدائرة قليلاً، ونعتبر التتابعات الجملية هي أساس كل البحوث الخاصة بـ " نحو النص " ، فهي تمثل الأساس لكثير من الدراسات في هذا المجال .

٦ـ من خلال العرض والتحليل والاطلاع على بعض الدراسات الخاصة بنظرية النص، تبين أن كل الدراسات تعتمد التتابعات الجملية كمرتكز أساسي لها، وتمثل قضية البحث عن وجوه الربط المختلفة بين النصوص السمة الجوهرية المائزة التي تجمع هذه الدراسات على اختلافها، وذلك وفق سياق اتصالي محدد .

٧ـ على الرغم مما أخذ على تصورات إيزنبرج حول " نظرية النص " فإن قول ڤولفجانج / ديتر مازال ماثلاً في ذهني، حين قال : يمكن أن يعد مدخل إيزنبرج المحاولة الأكثر منطقية وأهمية في تطوير نموذج شامل لكليات النص على أساس نهج يشغل النص محوره أساساً[٨٤]. وهذه تحسب له من ناحية، وتظهر حسنات نظريته من ناحية أخرى .

---

[84] ڤولفجانج / ديتر : مدخل إلى علم لغة النص ٥٢ .

٨ ـ تبين حسب التحليل أن تصورات إيزنبرج حول " نظرية النص " بشكل عام، هي الأساس الذي استلهم منه كل من بوجراند/ درسلر المعايير الأساسية التي شكلت المحور الأساسي لنظريتهما، وإن قدما تطويراً ملموساً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يظل تطبيق هذه التصورات على العربية أمراً قائماً، وقد جاءت الإشارة في ثنايا المعالجة، على أننا يمكن تطبيق مثل هذه العناصر/المعايير على البلاغة العربية، التي تحتاج إلى من يكشف الغبار عن ذلك، ويظهره في صياغة عربية خالصة، كما حاولت إظهار ذلك في كتب الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، وهذه الدراسات وثيقة الصلة بالبلاغة العربية، إن لم تكن الأساس للدراسات البلاغية في التراث العربي بوجه عام .

٩ـ كما أنني يمكن أن أضيف عناصر أخرى ذات أهمية في هذا السياق، وأوضحها كالتالي :

ـ الترابط بين الجمل بعضها بعضاً، يترتب عليه :

ـ الترابط بين الجمل (أو ما في حكمها) .

ـ الترابط بين الفقرة الأولى والتي تليها، يؤدي إلى :

ـ الترابط بين الفقرات بعضها بعضاً .

ويؤدي الترابط السابق بين العناصر المختلفة المكونة للنص إلى ترابط البنية الكلية للنص وتماسك أبنيته على نحو يأتي فيه النص مسبوكاً ومحبوكاً بشكل جيد .

وعلى الرغم من ذلك، فإن بوجراند يأخذ على طائفة من اللسانيين ـ ومنهم إيزنبرج ـ أنه في وقت لاحق، جاءت الإشارة إلى أن هذا الاتجاه الفكري

لا يمكننا إلا من رؤية جزء فقط من جملة المميزات المهمة للنص... وكانت القضية الكبرى أن وحدة النص ظلت غامضة [85] .

ولكن ألا يكفي هذا الاتجاه ـ حسب تعبير بوجراند ـ أنه أول من نبه وولج هذا المجال، وألا يكفيه ـ أيضاً ـ أنه كشف جزءاً من السمات المهمة التي يتميز بها النص، ولم يدع إيزنبرج ولا رفاقه في هذا المجال أن رؤيتهم في ذلك أخيرة، وإنما يمكن أن تتغير الرؤية بتغير الوقت والظرف (ويمكن ألا تتغير)، ودلل إيزنبرج نفسه على تلك الفرضية، حينما أضاف عناصر أخرى ذات فاعلية في تقديم تفسير مقبول للنص .

وإذا كان هذا العرض موجزاً عند إيزنبرج في بعض جوانبه، فإنني أرى أن هذا العرض طوره إيزنبرج نفسه في بحوث تالية، وبالتالي يمكن اعتبار أن بحوثه كلها تصور هذه النظرية بشكل يجعل منها كلاً متكاملاً، غير أنني وجدت ـ كما ذكرت ذلك في ثنايا التحليل ـ أن الاقتصار على هذا البحث لن يخل بالرؤية العامة لدي تصورات إيزنبرج حول نظريته مع الاعتماد على دراسات أخرى مساعدة . وإذ كان أحد الباحثين يرى أن " نحو النص " يرفض" نحو الجملة " فإن هذه الرؤية رددت عليها بما لا تحتاج معها إلى فضل بيان، ومن ثم أبنت عن تصورات إيزنبرج في دور " نحو الجملة " في " نظرية النص " نظراً لما يوليه لهذه القضية من أهمية، والتأكيد عليها في أكثر موضع . كما أرجو أن تكون هذه العناصر المعالجة لنظرية النص الخاصة بإيزنبرج موضحة لتصوره بشكل أرجو أن يكون مقبولاً ومفيداً بالنسبة للقارئ العربي .

أرجو أن تكون عناصر البحث موفقة في معالجة قضاياه .

---

[85] بوجراند : النص والخطاب والإجراء ص ٦٥ ،٦٦ .

المراجع

أ ـــ العربية :

١ـــ د. أشــرف عــبد البديع عبد الكريم : دلالـــة التراكيب عــند الزمخشــري، رسالة دكتوراه،غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، ١٩٩٩ .

٢ـــ د. أشــرف عــبد البديع عبد الكريم : الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، دار فرحة، القاهرة، ٢٠٠٣ .

٣ ـــ بــرند شبلنر : علم اللغة والدراسات الأدبية ، ترجمه وعلق عليه د. محمود جـــاد الرب، الـــدار الفنيـــة، القاهرة، ١٩٨٧ .

٤ـــ جـــان مـــاري ستشـــايفر : الـــنص، ص ص ١١٩ : ١٣٦، ضـــمن كـــتاب العلاماتيـــة وعـــلم الـــنص، إعـــداد وترجمة د. منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ .

٥ـــ روبـــرت دي بوجـــراند : الـــنـــص والخطاب والإجـــراء، ترجمـــة د. تـــمام حسان، الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨ .

٦ـــ زتسيســـلاف واورزنيـــاك : مـــدخـــل إلى عـــلـــم النـــص : مشكلات بنـــاء النصوص، مؤسسة المختار، القاهرة، ترجمه وعلّق عليه أ.د. سعيد حسن بحيري، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ ـــ ٢٠٠٣ .

٧ـــ د. ســـعيد حســـن بحيري : علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهـــات، مكتـــبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٣ .

٨ ـــ د. صـــلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، العدد (١٦٤)، ١٩٩٢ .

٩ــ ڤولفجــانج هايــنه مان / ديتر ڤيهفجر: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمــه وعــلّق عليه أ.د. سعيد حــسن بحيري، مــكتبة زهراء الشرق، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ .

١٠ــ د. مــازن الوعــر : نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة، مجلة الموقف العربي، دمشق، العدد (٣٨٥)، ٢٠٠٣ .

١١ــ د. محمــد العبد : حبك النص منظورات من التراث العربي، ص ص ١٢٥: ٢٣٦، مجلة الدراسات اللغوية، الرياض، م٣، ع٣، ٢٠٠١ .

<u>ب ــ الأجنبية :</u>

12- Beaugrande R. De / Dressler W . : Einführung in die Textliguistik, Niemeyer, Tübingen, 1981.

13 -Isenberg H. Überlegungen zur Texttheorie. Jens Ihwe (Hrsg) In :Literaturwissenschaft und linguistik , Ergebnisse und Perspektiven , Band 1 : Grundlagen und Athenäum,1971 . Vorussetzungen ,

14 -Kallmeyer W. (und Andre) : Lektürekolleg zur Textlinguistik Band 1 : Einführung , Athenäum, 1980 .

15 -Oomen U. : Systemtheorie der Texte, In : Lektürekolleg zur Textlinguistik Band 2: Einführung , Athenäum, 1974 .

16-Schmidt, S. : Texttheorie, Wilhelm Fink verlag, München,1976.

17-Van Dijk, T. A . : Aspekte einer Texgrammatik, in : Textlinguistik (Hrsg) von Dressler, W. 1978, 268 bis 299.

18-Van Dijk, T. A . : Text and Context, Longman, London and New York , 1977.

19-Van Dijk, T. A . : Textwissenschaft . Eine interdisziplinare : Einführung.München 1980 .

20 -Vater, H. : Einführung in die Textlinguistik, Struktur, Thema und Referenz in Texten. Wilhelm,1993 .